

دورة المذءوب

قصة : ستيفن كينج
ترجمة
وإعداد : د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف

للمرة الثالثة نلتقى مع (ستيفن كينج) كاتب الرعب الأمريكى الأشهر ، الذى صار عميدًا لهذا النوع من الأدب ، وهو ـ بلا جدال ـ الأنجح والأشهر بين المعاصرين .

وقد تحول اسمه إلى ماركة مسجلة ، يراها القراء على كتاب فيبتاعونه ، ويرونها على فيلم سينمائى فيشاهدونه .

كتب (كينج) كثيرًا جدًا .. إنه من أغزر الكتاب إنتاجًا ، وملاحقة عناوين كتبه أمر شبه مستحيل ، فما بالك بقراءتها جميعًا ؟ ومن أهم ما كتب دراساته عن فن الكتابة للرعب .. وهى دراسات رصينة تذكرنا بما كتبه (لافكرافت) عن الموضوع ذاته .

وعلى العموم هناك تيمات واضحة فى أدب (كينج) يمكن منها فهم شخصيته بالضبط :

الحياة فى قرية هادئة هى غالبًا (بانجور) بولاية (مين) .. ثم تأتى الكارثة من سماء صافية .. الفتى المراهق عاثر الحظ الذى يتحرش به المراهقون الأقوى عديمو الرحمة .. الهواجس المرضية التى تضايق شخصًا ما ثم يتضح أنها حقيقية .. الأسرة المتوسطة التى تتبدل حياتها بالكامل .. ومن الواضح أن مرحلة مراهقة (كينج) كانت صعبة وأن لديه تثبيتًا هائلاً عليها .. أغانى الروك وسباقات السيارات بين الشباب ومحاولة الظفر بإعجاب الفتيات .. إنها مراهقة أمريكية جدًا لكنك تستطيع أن تترجمها إلى مشاعرك أنت لأن محتواها الإنسانى ثرى وعال .

وهذا هو ما يميز أدب (كينج) عن سواه من كتاب الرعب : إنه قرأ كثيرًا جدًا ، وله إلمام واسع بالأدب العالمى ، ويفهم علم النفس جيدًا .. إنه أديب على المستوى قرر أن يحترف أدب الرعب ، وهو فى أمريكا نوع أدبى محترم ، وإن عومل ببعض التعالى من الأنواع الأدبية الأخرى ، لكن لحظة عد الأرباح يكتشف الأدباء الآخرون أن هذا النوع هو الأكثر شعبية ووصولاً إلى الناس ..

ولد كينج فى 21 سبتمبر 1947 فى بورتلاند مين ،

وفى طفولته وقع له حادث ليس هينًا بالنسبة لطفل : بينما كان عمر الصبى ثلاثة أعوام خرج أبوه ليشترى علبة تبغ ولم يعد قط (لو كنا خبراء فى تحليل النفس لقلنا إن هذا سبب له عدم الإحساس بالأمان طيلة حياته ، لكننا لسنا كذلك لحسن الحظ !) . وفى سن سبعة أعوام كتب أولى قصصه وعشق أفلام رعب الخمسينات .. ثم كبر الفتى وعمل مدرسًا للغة الإنجليزية ، وتزوج وراح يزجى الفراغ بالكتابة ، لكن الناشرين اعتادوا رفض قصصه .. كان سيتخلص من أول قصة له فى القمامة لكن زوجته تابيثا أنقذتها من هناك ، وأرسلتها إلى إحدى دور النشر ، فإذا بدار النشر تقبلها ويتلقى 2500 دولار عليها ، وكان اسم القصة هو (كارى) ، وحين قرر برايان دى بالما أن يخرج القصة عام 1976 تحقق نجاحها العظيم .. ومن حينها صار اسم كينج مقدسًا فى عالم الرعب المكتوب والمرئى ..

إن ستيفن كنج غريب الأطوار كأى نجم ، وفى سبتمبر 1999 قيل إنه اشترى العربة التى صدمته فى يونيو من العام ذاته ، كى يحتفل بتهشيمها فى ذكرى الحادث

السنوية .. دخله السنوى أربعون مليون دولار ، لكنه يتقاضى من محاسبه 200 دولار أسبوعيًا للإنفاق لا أكثر !
وقد أصدر خمس قصص هى (المسيرة الطويلة) و(أشغال طريق) و(الهارب) و(أرفع) و(المنظمون) تحت اسم مستعار هو (ريتشارد باكمان) ويقال إن سبب هذا هو ناشر كتبه الذى وجد أن السوق لا يتسع لتدفق إبداعات هذا الكاتب .. معظم قصصه تقع فى (مين) مسقط رأسه .. لا يوقع الأوتوجرافات أبدًا ، وقيل إن هذا بسبب التشاؤم ، لكنه فى الحقيقة بسبب مقته لسخافات النجوم وتأليه الناس لهم .. لكنه يقبل التوقيع لو أرسل الأوتوجراف إلى مكتبه .. وحالياً هو يعانى من ضمور خطر بالشبكية ينذر بالعمى ولا علاج له للأسف .

إنه سريع الكتابة إلى حد الفراغ من كتاب جديد هائل الحجم كل عام .. وكانت علاقته بهوليوود حميمة من البداية ، حتى إن كل كتاب جديد له يصير فيلمًا بالتأكيد ، وقد شارك بالظهور Cameos فى عدد من أفلامه ، كما أخرج فيلمًا واحدًا هو (الاندفاع الأقصى) .

د. أحمد خالد

تحذير مهم

هذه القصة غير مناسبة على الإطلاق لمن تقل سنهم عن ستة عشر عامًا .. وليست هذه دعاية للقصة . صحيح أن الأطفال يحبون التحدى ويصعب إخافتهم ، لكن المترجم يخلى مسئوليته على كل حال !

ينـــاير..

فوق فى السماء بزغ القمر مكتملاً مكتنزًا ، لكن هنا فى (تاركرز ميلز) جاءت عاصفة ثلجية كى تخنق السماء بالثلج ، واندفعت الريح بعنف إلى الشارع الرئيسى فاستسلمت لها كاسحات الثلج فى البلدة معلنة عجزها .

كان (أرنى وستروم) عامل إشارة السكة الحديدية ، قد احتجز فى كوخه على بعد تسعة أميال من البلدة ، وقد تجمدت دراجته التى تعمل بالجازولين والمخصصة للمشى على القضبان .. إنه ينتظر العاصفة هناك ويتسلى بلعب لعبة (السوليتير) بأوراق لعب مشحمة متسخة .. وفى الخارج تتحول الريح إلى الصراخ ، فينظر (وستروم) فى توتر ثم يعود إلى اللعب .. إنها الريح على كل حال ..

لكن الريح لاتخدش الأبواب ، ولا تعوى كى يسمح لها بالدخول ..

ينهض من مكانه .. رجلاً فارع الطول ضامرًا .. يرتدى سترة صوفية ولفافة تبغ تتدلى من ركن فمه .. ووجهه الذى يحمل قسمات (نيو إنجلند) تضيئه الانعكاسات البرتقالية من مصباح الكيروسين المعلق على الحائط ..

يعود الخدش من جديد .. هذا كلب أحدهم وقد ضل الطريق ويريد من يسمح له بالدخول .. هذا كل ما فى الأمر .. لكنه برغم هذا يتصلب .. ليس من الإنسانية تركه هكذا فى الخارج .. (ليس الجو أدفأ بالداخل على كل حال) لكنه ما زال يتردد ..

ثمة إصبع بارد من الخوف يعبث تحت قلبه .. كان هذا موسمًا سيئًا فى (تاركرز ميلز) هذا العام ، وكانت هناك علامات شؤم كثيرة ..

قبل أن يقرر ما يجب عمله يتعالى الأنين إلى زمجرة .. هناك صوت ارتطام كأنما شىء ثقيل للغاية يضرب الباب .. يتراجع .. يضرب الباب .. يرتجف الباب فى إطاره وتهب نسمة باردة ثلجية من أعلاه ..

يبحث (أرنى) حوله عن شىء يدعم به الباب ، لكن قبل أن يمد يده إلى المقعد الذى يجلس عليه ، ضرب الشىء الباب بقوة لا تصدق .. مهشمًا إياه من أعلاه إلى أسفله ..

يتماسك الباب لحظة ، لكنه يحشر رأسه فيه وهو يركل ويضرب .. بخطمه المتقلص على شكل زمجرة .. وعيناه الصفراوان تتوهجان .. كان هذا أكبر ذئب رآه (أرنى) فى حياته ..

وزمجرته تشبه كلام البشر إلى حد مخيف ..

يتهاوى الباب أخيرًا .. يستسلم .. وفى لحظة سيكون الشىء بالداخل ..

وفى ركن الغرفة كان هناك مثقاب بين أدوات أخرى .. التقطه (أرنى) وأمسكه بينما الذئب يشق طريقه بالداخل ويقعى .. عيناه الصفراوان تتوهجان صوب الرجل المحاصر فى الركن ..

أذناه مسطحتان للوراء .. لسانه يتدلى .. وخلفه يدخل الجليد من الباب الذى تهشم فى منتصفه .. يثب وهو يزمجر ، بينما (أرنى) يطوح المثقاب ..

مرة ..

وفى الخارج تلتمع أضواء المصباح الخافتة على الثلج عبر الباب المهشم ..

تعوى الرياح وتعوى ..

يبدأ الصراخ ..

شىء غير آدمى قد جاء إلى (تاركرز ميلز) لا يراه أحد ، مثله مثل القمر الساطع فوق الغيوم من أعلى .. إنه المذءوب .. ولا يوجد تفسير واحد لوصوله الآن أكثر من أسباب حدوث السرطان أو قدوم مجنون تكمن فكرة القتل فى ذهنه .. أو إعصار قاتل ..

مكانه هنا .. وقته الآن .. فى هذه البلدة الصغيرة فى ولاية (مين) التى ما زال الناس يؤمون الكنيسة فيها ، وما زال الأطفال فى المدارس يحضرون تفاحًا لمعلماتهم ، ما زالت الجريدة الأسبوعية تهتم باجتماعات المسنين .. الأسبوع التالى ستكون هناك أخبار من نوع أكثر قتامة ..

فى الخارج بدأت آثار أقدامه تمتلئ بالثلج ، وبدا صراخ الريح متوحشًا منتشيًا .. كل شىء هو الشتاء الأسود والجليد القاتم ..

لقد بدأت دورة المذءوب ..

* * *

فبراير ..

الحب هو ما فكرت فيه (ستيللا راندولف) وهى راقدة فى فراشها ، بينما من نافذتها يدخل الضوء البارد الأزرق للقمر المكتمل فى يوم القديس (فالنتين)(*) ..

اليوم تلقت (ستيللا) عشرين بطاقة بريدية بمناسبة عيد الحب .. واحدة من الممثل (بول نيومان) وواحدة من (روبرت ردفورد) وواحدة من (جون ترافولتا) .. أبقتها مفتوحة فى الغرفة أمامها يضيئها نور القمر الأزرق الشاحب .. لقد أرسلتها لنفسها كما تفعل كل عام ..

إن الحب جميل .. كأنه الزهور فى ضوء الشفق ..

إنهم يسخرون منها فى (تاركرز ميلز) .. نعم .. بالتأكيد .. الأطفال يسخرون منها ، ولو ضمنوا أنهم بعيدون عنها ، وأن الكونستابل (نيرى) ليس قريبًا ، فربما غنوا :

(*) عيد الحب .. 14 فبراير ..

- « بدينة بدينة .. اثنان فى أربعة » بأصواتهم الرفيعة الحلوة .. لكنها تعرف كل شىء عن الحب وعن القمر .. إنها بدينة أكثر من اللازم وتجارتها فاشلة ، لكنها فى هذه الليلة بينما القمر يغمر غرفتها بهذا اللون الأزرق عبر النافذة المغطاة بالجليد ، فإنها تعتقد أن الحب ما زال ممكنًا .. الحب ورائحة الصيف الآتى ..

فجأة هناك خدش على زجاج النافذة ..

تنهض من على الوسادة مرتكزة على كوعها .. إن شكلاً ما يحجب ضوء القمر .. لا ترى ما هو لكنه رجولى ..

تنهض شاعرة أن هذا كله حلم .. إن هذا الجالس خلف النافذة رجل تعرفه .. رجل تمر به فى الشارع كل يوم تقريبًا .. إن الحب يشبه القادمين دائمًا ..

لكن إذ تمرر يدها المكتنزة على زجاج النافذة البارد ترى أن هذا ليس رجلاً على الإطلاق .. إنه حيوان .. ذئب أشعث عملاق ، ومخالبه على عتبة النافذة ، ومؤخرته مدفونة فى الثلج الذى يغطى الجهة الغربية من بيتها ، هنا على ضواحى البلدة .



تتراجع للوراء بينما يثب الذئب العملاق إلى غرفتها .

لكن هذا يوم (فالنتين) ، ولابد أن عينيها تخدعانها .. هذا ليس حيوانًا ..

ترفع النافذة فتشعر برياح الليل تطير ثوبها خلفها .. فتعرف أن هذا ليس حلمًا ..

لا يوجد رجل هناك ، وتدرك بشكل ما أنه لم يكن هناك رجل قط ..

تتراجع للوراء بينما يثب الذئب العملاق إلى غرفتها .. ينفض فراءه فيتطاير الثلج كأنه سحابة من سحب الحلم ..

متأخرًا جدًا تتذكر عامل الإشارة الذى مزقه ذئب مفترس فى كوخ الإشارة فقط من شهر واحد .. نعم .. تذكرت هذا متأخرًا جدًا ..

يتقدم الذئب منها وعيناه الصفراوان تلمعان بجشع بارد .. تتراجع إلى الوراء حتى تصطدم قدماها بفراشها فتسقط عليه ، وتتهاوى ..

يلمع ضوء القمر على فراء الوحش معطيًا بريقًا فضيًا .. وعلى المنضدة ترتجف البطاقات للحظة فى الهواء البارد الذى دخل من النافذة .. إحداها طارت ودارت فى الهواء حول نفسها قبل أن تستقر فى كسل على الأرض ..

يضع الذئب يديه المخلبيتين على الفراش .. يدًا على كل جانب منها .. يمكنها أن تشم أنفاسه .. حارة لكنها ليست كريهة .. عيناه الصفراوان تحدقان فيها ..

أغمضت عينيها بينما انقض عليها ..

إن الحب يشبه الموت أحيانًا ..

* * *

مــارس ..

كانت آخر عاصفة جليدية ـ التى بدأت تضعف مع دنو الليل ـ قد ألقت الأغصان المهشمة فى كل شوارع المدينة .. وتعالت أصوات تشبه طلقات الرصاص من الشقوق التى تحدث فى الأخشاب المتعفنة .. هذه أمنا الطبيعية تقلم أخشابها .. هكذا يقول (ميلت ستورمفولر) أمين مكتبة البلدة لزوجته وهو يحتسى القهوة ..

رجل نحيل هو ضيق الجبهة أزرق العينين ، وقد استطاع بساديته وتسلطه أن يبقى زوجته فى سجن من الخوف اثنى عشر عامًا ..

كان (ميلت) يحب جملته هذه كثيرًا لدرجة أنه يكررها المرة تلو الأخرى .. نعم .. أمنا الطبيعة تقلم أخشابها .. فجأة تنقطع الأنوار وتشهق (دونا لى) زوجته فى رعب .. بل إنها تسكب قهوتها ..

ستنظفين هذا .. يقولها زوجها فى برود .. الآن ..

حسن يا حبيبى .. حالاً ..

وفى الظلام تبحث عن منشفة أطباق تجفف بها القهوة ، فتصطدم ساقها بمسند الأقدام ..

تسقط على الأرض صارخة .. ويضحك زوجها فى الظلام من قلبه .. إنه يجد رعب زوجته مسليًا أكثر من أى شىء آخر .

كما قلمت أمنا الطبيعة بعض أخشابها ، يبدو أنها قلمت كذلك بعض خطوط الكهرباء فى ليلة (مارس) العصيبة هذه .. لقد غطى الثلج خطوط الضغط العالى وازداد كثافة .. حتى سقطت على الأرض مثل عش من الأفاعى ، وراحت تتلوى وتبصق اللهب الأزرق .. ولم يكن أحد من عمال الكهرباء قادرًا على الوصول إلى مكان الخلل بسبب الطرق الزلقة ..

وساد الظلام كل (تاركر ميلز) ..

وكأنما شبعت العاصفة وبدأت تهدأ قليلاً ، لكن البرد اشتد ، وتجمدت الحقول على شكل سطح أبيض براق ..

تتباعد السحب كاشفة عن وجه القمر .. ويلمع الثلج الذى يغطى الشارع الرئيسى كعظام ميت ..

وفى الظلام يعوى شىء ما ..

فيما بعد لم يستطع أحد تحديد من أين جاء الصوت .. لقد بدا كأنما هو آت من لا مكان وكل مكان .. مثله مثل ضوء القمر الذى يغمر البيوت .. آت من لامكان وكل مكان مثله مثل صوت بوق محارب من الشمال ..

تسمعه (دونا لى) بينما زوجها الشرير يغفو جوارها .. يسمعه الكونستابل (نيرى) إذ وقف فى نافذة غرفة نومه فى شارع (لوريل) .. يسمعه (أولى باركر) أمين مكتبة البلدة البدين .. يسمعه كثيرون ومن بينهم صبى على مقعد متحرك ..

لا أحد يراه .. كما لا يعرف أحد اسم المتسكع الذى وجده عامل الطريق فى الصباح ، حين وصل أخيرًا إلى البلدة لإصلاح كابلات الكهرباء .. كان مغطى بالثلج ووجهه يصرخ صرخة صامتة وقد تمزق قميصه .. كان المتسكع وسط بركة متجمدة من دمه ، ويداه ما زالتا ممدودتين فى حركة من يبعد خطرًا عن وجهه ، وقد تراكم الجليد بين الأصابع ..

وحول جثته كانت آثار مخالب ..

آثار أقدام ذئب ..

* * *

أبريل ..

فى منتصف الشهر استحالت آخر هبات العاصفة إلى شلالات من المطر ، وثمة شىء مدهش يحدث فى (تاركرز ميلز) .. لقد عادت الخضرة .. لقد ولى الجليد فى بركة (ماتى تلينجهام) ، ورقع الجليد فى طريق الغابة المسماة (الغابة الكبرى) قد بدأت تضمحل .. يبدو أن الحيلة الناجحة القديمة ستنجح هذه المرة من جديد : لقد عاد الربيع !

احتفل القوم بالمناسبة بشكل محدود برغم الظل الذى خيم على البلدة .. قامت الجدة (هيج) بخبز بعض الفطائر وضعتها على نافذة المطبخ حتى تبرد .. وفى الكنيسة المعمدانية قرأ الموقر (لستر بوى) بعض أناشيد (سليمان) وألقى موعظة عنوانها (ربيع رضا الرب) ..

وفى الحانة يحتفل سكير البلدة (كريس رايتسون) بالمناسبة بشكل أكثر دنيوية .. ويرمقه صاحب الحانة وساقيها (بيلى روبرتسون) وهو يمشى مترنحًا فى ضوء قمر أبريل الفضى الذى لا يصدق .. ويقول للساقية :

- «لو كان الذئب سيفوز بواحد آخر ، فأعتقد أنه سيكون (كريس)»

تقول الساقية وهى تهز كتفيها :

- «لا تقل هذا ..»

اسمها (إليز فورنيير) .. أربعة وعشرون عامًا .. تنوى ترك البلدة فى الصيف .. إن موضوع الذئب هذا قد بدأ يثير رعبها .. بدأت تعتقد أن البقشيش ربما يكون أفضل فى (بورتسماث) .. والذئاب الوحيدة هناك تلبس ثياب البحارة ..

إن الليالى فى (تاركرز ميلز) حين يكتمل القمر ، غير مريحة .. أما النهار فيكون أفضل وتحلق الطائرات الورقية عصر كل يوم فى عنان السماء ..

نال (برادى كيناسيد) ـ البالغ من العمر أحد عشر عامًا ـ نسرًا فى عيد ميلاده .. وقد فقد كل إحساس له بالزمن وهو يرقب الطائرة تعلو وتهبط فى السماء ، ويرتجف خيطها فى يده كأنها شىء حى ..

لقد نسى أن عليه العودة إلى البيت للعشاء .. نسى أن كل أصحاب الطيارات الورقية الأخرى قد رحلوا الواحد تلو الآخر .. وقد طوى كل منهم طائرته تحت إبطه ..

نسى تمامًا أنه صار وحيدًا ..

دائمًا ما يكون رحيل الضوء ، وغزو اللون الأزرق هما ما يخبره بأنه تأخر .. وعندها يرى القمر يرتفع على حافة الحديقة ..

للمرة الأولى هذا قمر دافئ .. منتفخ برتقالى اللون وليس أبيض شاحبًا ، لكن (برادى) لا يلاحظ هذا .. فقط يعرف أنه بقى طويلاً وأن أباه سيلومه على الأرجح .. وأن الظلام قادم ..

فى المدرسة سخر من خرافات أصدقائه عن المذءوب الذى قالوا إنه قتل المتسكع الشهر الماضى ..

وقتل (ستيللا راندولف) فى الشهر الذى قبله .. وقتل (أرنى ويستروم) فى الشهر الذى قبله .. لكنه لا يضحك الآن .. وإذ يحول القمر غبشة أبريل إلى ستار دموى ، تبدو له القصص حقيقية أكثر من اللازم ..

بدأ يلف الخيط بأسرع ما يستطيع ، جاذبًا النسر بعينيه الحمراوين من السماء المظلمة .. يجذبه بسرعة بينما يموت النسيم ، ونتيجة لهذا تهوى الطائرة وراء المنصة فى الهواء الطلق ..

يتقدم نحوها وهو يلف الخيط كلما تقدم .. ناظرًا فى عصبية إلى الوراء .. وفجأة بدأ الخيط يهتز فى يديه للأمام والخلف .. ذكره هذا بخيط الصيد حين يمسك بسمكة كبيرة فى مجرى نهر (تاركرز) .. ينظر إلى الخيط فى توتر مقطبًا ..

فجأة يدوى زئير مريع فى سماء الليل ويصرخ (برادى كيناسيد) .. الآن هو يصدق .. نعم .. يصدق .. لكن تأخر الوقت جدًا ، وقد ذاب صياحه وسط الزئير الذى بدأ يتعالى إلى أن صار عواءً ..

الذئب يركض نحوه .. يركض على قدميه .. فراؤه المشعث برتقالى اللون فى لهيب القمر .. وعيناه مصباحان أخضران براقان .. وفى إحدى اليدين .. اليدين اللتين تبدوان آدميتين ، وقد حلت المخالب مكان الأصابع ، يرى طائرته التى تشبه النسر .. إنها تهتز فى جنون ..

يستدير (برادى) للهرب ، لكن ذراعين جافتين تحيطان به .. ويشم شيئًا هو مزيج من الدم والقرفة .. ويجدونه فى اليوم التالى ملتصقًا بالنصب التذكارى للحرب ، بلا رأس وبلا أحشاء .. وطائرة النسر فى إحدى يديه ..

تتراقص الطائرة كأنما تبغى الصعود إلى السماء ، بينما فريق البحث يعود أدراجه مذعورًا شاعرًا بالغثيان .. تتراقص لأن النسيم قد صحا ..

تتراقص كأنما هى تعرف أن هذا يوم مناسب للطائرات الورقية ..

* * *

مايو..

عشية يوم (العودة للدار) فى الكنيسة المعمدانية ، حلم الموقر (لستر لوى) بحلم مريع ، صحا منه يرتجف غارقًا فى العرق ، ناظرًا عبر نوافذ بيت الكاهن .. عبر الطريق كان يستطيع أن يبصر كنيسته .. ضوء القمر يدخل من نوافذ غرفة النوم فى شعاع فضى ثابت .. يخطر له أنه للحظة سيرى المذعوب الذى يتحدث عنه الجميع ، ثم يغمض عينيه ويستغفر اللّه على تصديقه هذه الخرافات ..

لكن الحلم ..

فى هذا الحلم كان فى الغد ، وكان يعظ فى احتفال (العودة للدار) .. وبدلاً من أن يرى مقاعد خالية أو مليئة كما يحدث أيام الآحاد ، كان كل مقعد مليئًا ..

فى هذا الحلم رأى نفسه يعظ بقوة نارية لم يعتد أن يعظ بها .. اليوم لمست لسانه قوة هائلة وأدرك أنه إنما يلقى أعظم موعظة ألقاها فى حياته .. وكان موضوعها هو التالى : (الوحش يمشى بيننا) .. كان يدور حول هذه النقطة شاعرًا أن كلماته صارت شعرية ، وأن صوته يزداد قوة ..

إن الوحش ـ كما قال لهم ـ فى كل مكان .. الشيطان يمكن أن يوجد فى أى موضع .. فى رقصة فى المدرسة الثانوية .. يشترى علبة تبغ فى المتجر .. يقف أمام الصيدلية .. يلتهم شطيرة .. ربما كان الوحش جالسًا جوارك فى قاعة الكونشيرتو .. ربما يأكل فطيرة فى مطعم (ثرثر وامضغ) فى الشارع الرئيسى ..

الآن صار صوته همسًا .. لقد استحوذ عليهم تمامًا .. احترسوا من الوحش .. ربما ابتسم وقال إنه جارك .. أسنانه حادة ويمكنك أن ترى تقلب عينيه .. إنه الوحش .. وهو هنا فى (تاركرز ميلز) بالذات ..

لكن فجأة ينهار وتتخلى عنه طلاقة لسانه .. لأن شيئًا مريعًا يحدث هناك فى كنيسته ..

إن المستمعين يتحولون إلى مذءوبين .. كلهم .. الثلاثمائة مستمع .. (فيوليت ماكنزى) معلمة البيانو .. جسمها العانس النحيل يمتلئ فجأة .. أنفها يتسطح ويطول .. مدرس العلوم البدين (ألبرت فريمان) يزداد بدانة ، وخصلات شعر قوية كالزنبرك تثب من صدره ، كما يثب الياى من الأريكة القديمة ! شفتاه السمينتان تتراجعان كاشفتين عن أسنان غليظة كمفاتيح البيانو !

يتراجع الموقر (لوى) عن منبر الوعظ فى خوف ، بينما تسود الفوضى .. ويصرخ الرجل :

ـ « الوحش ! إنه فى كل مكان ! كل مكان .. »

لكن صوته لم يعد صوته .. لقد تحول إلى نوع من العواء بلا مقاطع .. وحين نظر ليديه رأى أنهما تحولتا إلى مخالب ..

عندها صحا من النوم ..

هذا مجرد حلم .. كذا فكر وهو يعود لفراشه .. فقط حلم .. الحمد لله ..

لكنه حين فتح الكنيسة فى صباح الأحد .. صباح يوم (العودة للدار) ، لم يكن ما رآه حلمًا .. هذا جسد (كلايد كورليس) الذى تولى التنظيف طيلة أعوام .. هذا جسده وقد فرغ من الأحشاء معلقًا من قدميه ومكنسته بقربه ..

لم يكن هذا حلمًا .. فقط تمنى الموقر (لوى) لو كان كذلك .. يفتح فمه .. يصرخ بأعلى صوته ..

لقد جاء الربيع ثانية .. وفى هذا العام جاء الوحش معه ..

* * *

يونيو..

فى أقصر ليالى العام ، يقف (ألفى نوبفلر) صاحب مقهى (ثرثر وامضغ) ، يلمع المنصة المصنوعة من (الفورمايكا) ، وقد رفع كمى قميصه كاشفًا عن ساعديه العضليين الموشومين .. إن المقهى فى هذه اللحظات خال تمامًا ، وهو ينهى عمله فيقف بعض الوقت .. ينظر إلى الشارع ويتذكر شبابه الأول ..

ينفتح الباب الذى يقود إلى الصيف ، ويسمح بدخول تيار هادئ من ضوء القمر .. إنه يعتقد أن المقهى خال لأن الوحش يمشى فى ضوء القمر ، لكن (ألفى) لم يكن خائفًا ولا قلقًا .. لأن وزنه اثنان وعشرون رطلاً ، وأكثر هذا الوزن عضلات ممتازة اكتسبها من البحرية .. لم يقلق لأنه يعرف أن الزبائن سيأتون فى الصباح طلبًا للبيض والبطاطس المحمرة والقهوة ..

يقول لنفسه : ربما أغلق مبكرًا هذه الليلة ..

ربما كان الوقت مناسبًا للذهاب للحفلة التالية فى السينما .. سينما سيارات .. يونيو .. سماء دافئة وقمر مكتمل .. يوم مناسب لتذكر غزوات الماضى ..

يتجه لآلة القهوة عندما ينفتح الباب خلفه .. يستدير ..

- « هيه ! كيف حالك ؟ »

يسأل لأن العميل زبون لديه برغم أنه لا يراه بعد العاشرة صباحًا أبدًا ..

يهز الزبون رأسه ويتبادل الرجلان عبارات ودودًا ..

يسأله (ألفى) بينما الرجل يجلس إلى أحد المقاعد العالية المواجهة للكاونتر :

- « قهوة ؟ »

- « من فضلك .. »

حسن .. حسن .. ما زال الوقت كافيًا للحاق بهذه الحفلة .. يستدير إلى آلة القهوة .. لا يشعر بأنه على ما يرام هذه الليلة .. مريض ربما .. مرهق ربما .. لكن الوقت ما زال مبكرًا على ...

هنا تزيل الصدمة بقية أفكاره .. ويفتح (ألفى) فمه فى غباء .. إن آلة القهوة من المعدن المقاوم للصدأ وهى تلمع مثل أى شىء فى هذا المقهى .. تلمع كالمرآة ..

وفى سطحها العاكس المقوس يرى شيئًا لا يصدق ، كما أنه مخيف ..

إن زبونه الذى يراه كل يوم ، والذى يراه الجميع كل يوم فى (تاركرز ميلز) ، يتغير .. وجهه يلتوى .. يذوب .. يتسع .. قميص الزبون القطنى ينتفخ .. ويتمدد .. فجأة تتمزق الخياطة ، وكل ما يتذكره (ألفى) أن هذا المشهد كان فى مسلسل ، يحب ابن أخيه (راى) أن يراه : الرجل الأخضر(*) ..

لقد صار وجه الزبون الباسم الرقيق شيئًا حيوانيًا .. عيناه البنيتان صارتا أفتح .. صارتا خضراء ذهبية مخيفة .. يصرخ الزبون لكن صرخته

(*) اسمه الأصلى (العملاق المذهل) incredible hulk لكن هذا هو اسمه الذى أشتهر به عندنا ..

تتهشم .. تسقط مثل مصعد وتتحول إلى عواء غاضب غريب ..

إنه الشىء .. الوحش .. المذءوب .. أيًا ما كان .. يقف أمام الكاونتر ويزأر ..

يستدير (ألفى) فيصدم ردفه دورق القهوة .. يسقط هذا على الأرض وتنتثر القهوة الساخنة فى كل مكان وتحرق كاحليه .. يصرخ ألمًا وخوفًا .. نعم هو خائف .. لقد نسى وزنه الثقيل وعضلات البحرية الممتازة ..

نسى ابن أخيه (راى) .. نسى كل شىء إلا الوحش .. يقف هنا مثل وحش فى أحد أفلام الرعب .. وحش خرج من الشاشة فجأة ..

يثب على (ألفى) ويحاول (ألفى) تفاديه .. لكنه ينزلق فوق بقايا الدورق المهشم ويسقط على مشمع الأرضية الأحمر ..

مزيد من العواء وفيضان من الزفير الدافئ ثم ألم أحمر ، إذ تغوص أنياب الوحش فى عضلة ظهر الرجل .. يغرق الدم الأرضية والكاونتر ..

يتأرجح (ألفى) واقفًا على قدميه وظهره ينزف بقوة ، ويحاول الصراخ ، بينما ضوء القمر الدافئ .. ضوء قمر الصيف يسبح من النافذة ..

ينقض الوحش ثانية ..

وضوء القمر آخر ما يراه (ألفى) ..

* * *



مزيد من العواء وفيضان من الزفير الدافئ ثم ألم أحمر ، إذ تغوص أنياب الوحش فى عضلة ظهر الرجل .

يوليو ..

ثم إلغاء احتفال الرابع من (يوليو) .. يوم الاستقلال ..

ولم يتلق (مارتى كوزلو) الكثير من التعاطف من أقرب الناس إليه ، حين أخبرهم بهذا .. ربما لأنهم لم يفهموا عمق ألمه ..

قالت له أمه بجفاء :

- « لا تكن أحمق .. »

وهى دائمًا جافة معه .. وكانت تحاول أن تبرر لنفسها هذه الخشونة من جانبها ، فتقول إنها لن تفسد الفتى لمجرد أنه معوق .. لمجرد أنه سيمضى باقى حياته على مقعد متحرك ..

يقول أبوه وهو يضربه على ظهره :

ـ « فقط انتظر حتى العام القادم .. سيكون أفضل مرتين ! جدًا جدًا .. سترى أيها الصغير ! هيه ! »

(هيرمان كوزلو) مدرس للتربية الرياضية فى مدرسة (تاركرز ميلز) لقواعد اللغة ، قد اعتاد أن يكلم ابنه بما يعتبره (مارتى) صوت الصديق الأكبر سنًا .. الحقيقة هى أن (مارتى) يجعل أباه عصبيًا نوعًا .. إن أباه يعيش فى عالم من الأولاد أصحاء الجسد ، الذين يتسابقون ويلعبون الكرة ويسبحون سباحة تتابعية .. وإذ يوجههم لهذا كله كان يرى (مارتى) .. جالسًا على مقعده المتحرك يراقب .. كان هذا يجعله عصبيًا وحين يصير عصبيًا كان يتكلم بصوت الصديق الأكبر ويقول « هيه ! » و« أيها الصغير » و« جدًا .. جدًا » ..

تقول أخته الكبرى :

ـ « ها ها .. أخيرًا لم تظفر بشىء أردته »

تقولها حين يخبرها إلى أى حد ينتظر هذا اليوم من عام لآخر .. الألعاب-النارية وبريق الضوء الذى تليه فرقعة تقول « كير وامب ! » .. إن (كيت) فى الثالثة عشرة بينما هو فى العاشرة .. وهى مقتنعة بأن الجميع يحبون (مارتى) لمجرد أنه لا يستطيع المشى .. وهى مسرورة لأن الألعاب النارية ألغيت ..

حتى الجد الموثوق بتعاطفه لم يتأثر كثيرًا ..

ـ « لا أحد يمكن أن يلغى الرابع من يوليو يا بنى .. »

يقولها بلهجته السلافية الثقيلة ..كان يجلس فى الشرفة يرمق الغابة البعيدة ، وكأس من (الشنابس) فى يده ..

ـ « فقط سيلغون الألعاب النارية .. وأنت تعرف السبب »

و(مارتى) يعرف السبب .. إنه القاتل .. فى الصحف يطلقون عليه (قاتل البدر) .. لكن (مارتى) قد سمع الكثير من القيل والقال فى الصف قبل انتهاء الدراسة .. قال البعض إن قاتل البدر ليس رجلاً

على الإطلاق .. لكنه كائن خارق .. مذءوب ربما .. لم يصدق (مارتى) هذا لأنه اعتبر أن المذءوبين لا يعملون إلا فى أفلام الرعب ، لكنه افترض أن هناك قاتلاً مجنوناً هناك ، لا يرغب فى القتل إلا حين يكتمل القمر بدرًا ..

لكن الألعاب النارية قد أوقفت بسبب حظر التجوال القذر ..

وكانت تعنى له الكثير .. تعنى ليل الصيف الدافئ والزهور التى تتفتح فى السماء .. كان يجلس فى (يناير) يرمق الثلوج ويرى رفاقه يلعبون ويتزلجون على الجليد ، بينما هو لا يجد ما يقوم به .. وكان ينتظر الصيف بكل جوارحه ..

دعك مما يقول الآخرون .. (مارتى) يشعر بأن عيد الرابع من (يوليو) .. عيده هو بالذات قد قتلوه قتلاً ..

فقط خاله (آل) الذى جاء إلى المدينة هذا الصباح ليأكل السلامون والفاصوليا الطازجة مع الأسرة ، كما

هى العادة فى ذلك اليوم ، هو من فهم .. أصغى باهتمام وهو يرتدى ثوب الحمام الذى يتساقط منه الماء .. (كان الآخرون ينعمون بالسباحة فى حوض السباحة بالجهة الأخرى من الدار) ..

- « هل تفهم ما أعنيه ؟ ليس للأمر علاقة بكونى معوقًا كما تظن (كيت) ، أو خلط للأوراق بين الألعاب النارية وأمريكا ذاتها كما يظن جدى .. فقط ليس من العدل أن يتطلع المرء لشىء ما فترة طويلة .. ليس عدلاً أن يأتى (فكتور باول) ومستشار البلدة كى يسلبانى إياه .. ليس حين يكون شيئًا تريده بقوة .. هل تفهمنى ؟ »

ساد صمت طويل ثقيل بينما فكر الخال فى كلام (مارتى) .. صمت يكفى كى يسمع (مارتى) صياح الأب من حمام السباحة :

- « رائع يا (كيت) .. رائعععععع ! »

قال الخال :

- « أنا افهمك ، ولدى فكرة لا بأس بها .. ربما كان بوسعك أن تحتفل احتفالك الخاص »

- «ماذا تغنى ؟ »

- «تعال لسيارتى .. فلدى ما أريد أن تراه .. »

وانطلق عبر الطريق الأسفلتى المحيط بالبيت قبل أن يفهم (مارتى) ما يريد ..

تدحرج مقعده المتحرك إلى الطريق ، بعيدًا عن الضحكات الصارخة من الحمام .. كان صوت المقعد الخفيض هو الموسيقا التى ظل (مارتى) يسمعها طيلة حياته كلما تحرك ..

كانت سيارة خاله من طراز (مرسيدس) وكانت أمه تسخر منها دومًا .. ولكن (مارتى) كان يحبها ، وقد أخذه خاله بها ذات مرة إلى الغابات المحيطة بالبلدة .. وقاد خاله السيارة بسرعة ثمانين كيلومترًا لكنه لم يخبر (مارتى) بهذا ، وقال له إنه لن يخاف ما دام لا يعرف السرعة .. ولم يخف (مارتى) وظلت معدته تؤلمه طيلة اليوم التالى بسبب كثرة الضحك ..

مد الخال يده فى درج القفازات فى العربة ، ووضع عبوة ثقيلة مغلفة بالسيلوفان على يد (مارتى) وقال :

- « كل رابع من يوليو وأنت بخير .. »

كان أول ما رآه (مارتى) هو كتابة صينية مثيرة على الغلاف .. ثم رأى ما بالداخل وخفق قلبه فى صدره .. كانت العبوة مليئة بالألعاب النارية ..

حرك (مارتى) شفتيه ليتكلم وقد أخرسه السرور .. لكن شيئًا لم يخرج ..

- « أشعل الفتيل .. اخفضها .. ثم تطلق الصواريخ ألوانًا لا حصر لها كأنها أنفاس التنين .. الأنابيب ذات العصى توضع فى زجاجة مياه غازية فارغة ، وأشعلها لتنطلق .. الصغيرة تطلق نافورات من النيران .. »

أخيرًا استطاع (مارتى) الكلام :

- « شكرًا يا خالى .. شكرًا »

- « لكن لا تقل لأحد من أين جئت بها .. إن الحصان الأعمى لا يستفيد من هزة الرأس أكثر مما يستفيد من الغمزة .. »

- « بالتأكيد يا خالى .. بالتأكيد .. »

برغم أن (مارتى) لم يعرف علاقة الخيول العمياء وهزة الرأس بالألعاب النارية ..

- « أنا أعرف رجلاً فى (بريدجتون) يمكنه أن يمدنى بالمزيد .. احتفل بالرابع من يوليو بعد أن ينام الجميع .. لا تشعل أى صاروخ صاخب فتوقظ الجميع .. وبحق السماء لا تفجر رأسك وإلا لن تكلمنى أختى مرة أخرى أبدًا »

ثم ضحك الخال وركب سيارته وأدار المحرك .. ولوح بذراعه محييًا (مارتى) وابتعد بينما الفتى مازال يفتش عن كلمة شكر ..

جلس هناك لبضع دقائق يحاول جاهدًا ألا يبكى .. ثم وضع العبوة فى جيبه وعاد إلى المنزل .. صار عليه الآن أن ينتظر حتى ينام الجميع ..

كان أول من دخل الفراش ليلتها .. تدخل أمه وتقبله (وتتحاشى النظر إلى رجليه الشبيهتين بالعصا تحت الملاءة) ، وتسأله :

- « أنت بخير يا (مارتى) ؟ »

- « نعم يا ماما .. »

تصمت كأنما ستقول شيئًا آخر ، ثم تهز رأسه وتبتعد ..

تدخل أخته (كيت) ، وهى لا تقبله .. إنما بالضبط تلصق رأسها بعنقه حتى يشم رائحة الكلور فى شعرها وتهمس :

- « هل ترى ؟ لن تظفر دائمًا بكل ما تريد لمجرد أنك معوق .. »

- « ربما تندهشين لو عرفت ما أحصل عليه »

يقولها بنعومة فتنظر له للحظة فى ارتياب قبل أن تنصرف ..

يأتى أبوه أخيرًا ويجلس على طرف فراشه ويتكلم بطريقة الصديق الأكبر المألوفة :

ـ « كل شىء على ما يرام أيها الرجل الكبير ؟ أنت مبكر الليلة فى دخول الفراش »

ـ « مرهق فقط يا أبى »

يضرب الأب إحدى ساقى (مارتى) وينهض فى عجلة :

ـ « آسف بخصوص الألعاب النارية .. لكن كل ما عليك هو أن تنتظر حتى العام القادم ! »

يبتسم (مارتى) ابتسامة غامضة ..

الآن ينتظر باقى المنزل حتى يدخلوا الفراش .. استغرق هذا دهرًا .. التلفزيون لا يكف عن العمل فى غرفة المعيشة مع الضحكات المعلبة فى العروض الهزلية .. دورة المياه فى غرفة الجد لا تكف عن الطرطشة والانفجار .. وأمه تثرثر على الهاتف تتمنى لأحدهم عيدًا سعيدًا .. من المؤسف أن الألعاب النارية ألغيت .. إن (مارتى) حزين بسبب هذا ، وتضحك .. من الغريب أنها لا تضحك أبدًا حين تتعامل مع (مارتى) ..

ومن وقت لآخر ـ على حين تتحول السابعة والنصف إلى التاسعة والنصف ـ تزحف يده تحت الوسادة للتأكد من أن عبوة السيلوفان ما زالت هناك .. وفى التاسعة والنصف حين تسلل ضوء القمر ليغمر الغرفة كلها باللون الفضى ، بدا أن المنزل بدأ يهمد قليلاً ..

انطفأ التلفزيون ونامت (كيت) ـ بعد ما احتجت لأن كل صديقاتها ينمن بعد هذا ـ وجلس الأبوان فى الخارج يتكلمان ، لكنه لا يسمع من الكلام إلا غمغمة .. و ..

ربما نام .. لأنه حين لمس العبوة ثانية كان البيت صامتًا تمامًا والقمر ازداد تألقًا ..

يأخذ اللفافة مع صندوق الثقاب الذى أخذه قبل هذا .. يدس كل شىء فى جيب منامته ويتأهب لمغادرة الفراش ..

وهذه عملية بالنسبة لـ (مارتى) لكنها ليست صعبة جدًا كما يتوهم البعض .. قدماه لا تشعران على الإطلاق فلا ألم .. يتعلق بالفراش ويجنب نفسه

لوضع الجلوس .. ثم ينزل قدميه واحدة تلو الأخرى ، بيد واحدة لأن الأخرى تتعلق برأس السرير .. ذات مرة جرب استعمال اليدين فانقلب على رأسه وهرع الجميع ليروه :

ـ « أيها الاستعراضى الغبى ! »

كذا همست (كيت) فى أذنه بوحشية ، بينما هو مصر على الابتسام برغم أن شفته تمزقت ..

ـ « تريد أن تقتل نفسك ؟ »

ثم غادرت الغرفة باكية ..

الآن هو يستعمل يديه ليصل إلى المقعد المتحرك .. قدماه عديمتا النفع تمثلان ثقلاً عليه ويكتفى بجرهما خلفه .. الضوء القمرى ساطع إلى حد أنه يرمى ظله بوضوح على الأرض أمامه ..

يصعد إلى المقعد ، ويسترد أنفاسه مصغيًا للمنزل الصامت .. سيبقى احتفال الرابع من يوليو لنفسه ولن يعرف أحد .. ربما حتى الغد حين يجدون الرماد المشتعل فى الشرفة ولن يهم وقتها ..

ألوان لا حصر لها كأنها أنفاس التنين .. هذا ما قال خاله .. لكن القانون لا يمنع التنين من التنفس فى صمت ..

يشغل محرك الكرسى الكهربائى ، ويتأكد من أن البطارية مشحونة .. يدوس على زر الاتجاه لليمين .. الآن يواجه الشرفة فيدوس على زر السير للأمام ..

يفتح المزلاج على الباب .. يضغط زر التقدم للأمام .. ويخرج ..

يمزق العبوة ثم يتوقف .. وقد أسره ليل الصيف .. صوت الصراصير البعيد الموحش ، والنسيم الهادئ الذى يحرك أوراق الأشجار على حدود الغابة .. والبريق غير الأرضى للقمر ..

لن ينتظر أكثر .. يشعل الثقاب .. يشعل واحدة من المفرقعات على شكل أفعى .. ويراقبها وهى تقذف اللهب الأزرق المخضر وتكبر كالسحر .. تبصق اللهب من ذيلها ..

إنه الرابع من يوليو ! الرابع !

يشعل واحدة أخرى من هذه المتفجرات ويراقب اللهب الأصفر الخارج منها .. رائحة البارود المحترق الجميلة تفعم هواء الليل بانتظار الريح حتى تحملها بعيدًا ..

هناك متفجرات من النوع الذى يحدث (فرقعة) ، وهذا لا يناسبه لأنه سيوقظ البيت كله .. ذعر .. هلع .. إطفاء .. وصبى فى العاشرة من عمره يمضى بقية حياته فى غرفة الفئران ..

مد يده وانتقى أكبر المتفجرات طرًا .. كان فى حجم قبضته .. أشعله وألقاه على الأرض ..

ملأ الضوء الأحمر سماء الليل ، وعلى هذا الضوء المحموم استطاع (مارتى) أن يرى غصون الشجر تحت الشرفة تهتز وتتباعد ..

ثمة صوت خافت .. ونصف سعلة ونصف زمجرة ..

ثم يظهر الوحش ..

يقف للحظة ويتشمم الهواء .. ثم يصعد المنحدر إلى حيث (مارتى) .. الذى راح يرمقه وعيناه جاحظتان وجسده منكمش فى مقعده ..

إن الوحش منتن لكن من الواضح تمامًا أنه يمشى على قدميه الخلفيتين .. يمشى كما يمشى الرجال .. والضوء الأحمر يتوهج فى عينيه ..

يتحرك ببطء .. منخراه يتسعان بشكل منتظم .. يشم الضحية .. بالذات يشم رائحة ضعفها ..

يزمجر ثانية وتتقلص شفته العليا التى لها لون الكبد ، كاشفة عن أسنان مصفرة حادة ..

كاد يصل إليه .. يداه تشبهان ولا تشبهان يدى الإنسان .. يدنو منه حين يتذكر (مارتى) مجموعة المفرقعات الصاخبة ..

دون أن يدرى أنه فعلها يشعل عود ثقاب ويشعل الفتيل .. ينطلق الشرر ويحرق الشعيرات الدقيقة على ظهر يده ..



تنطلق النيران والأصوات ، حتى إن الوحش يطلق صرخة ألم وغضب .

يتراجع المذعوب للوراء للحظة مرتبكًا .. يصدر زئيرًا متسائلاً نصف آدمى .. هنا يرمى (مارتى) بالمفرقعات فى وجهه ..

تنطلق النيران والأصوات ، حتى إن الوحش يطلق صرخة ألم وغضب .. والانفجارات تترك أثرها فى وجهه ، ويرى (مارتى) إحدى عينى الوحش تنتهى إذ انفجرت فيها أربعة صواريخ فى اللحظة ذاتها .. الآن هو يمسك وجهه فى ألم حقيقى ..

وإذ أضىء النور فى منزل (كوزلو) استدار الوحش نحو الأحراش تاركًا وراءه رائحة الفراء المحروق ، والصرخات الأولى الحائرة من المنزل ..

جاء صوت أمه خاليًا من الجفاء :

ـ « ماذا حدث ؟ »

وجاء صوت أبيه :

ـ « من هناك بحق السماء ؟ »

ـ « (مارتى) .. هل أنت بخير ؟ »

يجلس (مارتى) فى مقعده يرمق الصاروخ الموشك على الانتهاء .. للهبه الآن ذلك اللون الوردى المميز لشروق الشمس .. إنه مصدوم لا يستطيع البكاء .. لكن صدمته ليست عاطفة سوداء ، برغم أنه يعرف أن أهله سيرسلونه غدًا إلى (فيرمونت) ليقيم عند عمه حتى نهاية الصيف (سيتوقع رجال الشرطة أن قاتل الليالى المقمرة سيعود للانتقام منه) ..

إنه ليشعر بابتهاج عظيم أقوى من الرعب .. لقد نظر للوحش فى عينيه .. وعاش ..

بالإضافة لهذا هو يشعر بسرور لن يفهمه أحد أبدًا ؛ لأن الألعاب النارية تمت برغم كل شىء ..

وبرغم أن أبويه يتكلمان عما إذا كان الحادث سيترك ندوبًا فى شخصيته ، فإن (مارتى) آمن من قلبه أن هذا كان أجمل رابع من يوليو فى حياته ..

* * *

أغسطس ..

يقول الكونستابل (نيرى) :

ـ « طبعًا أعتقد أن هذا مذعوب »

يتكلم بصوت عال .. فى الغالب عمدًا وعلى سبيل الاستعراض فيسود الصمت فى صالون حلاقة (ستان) وتصمت المحادثات بين الزبائن ..

كان هذا منتصف أغسطس .. أشد شهور أغسطس حرارة فى تاريخ (تاركرز ميلز) .. واليوم يكتمل القمر ثانية لذا تنتظر البلدة كلها فى توتر حابسة أنفاسها ..

يتفقد الكونستابل (نيرى) مستمعيه ثم يتجه إلى مقعد الحلاق الأوسط ، وهو يتكلم برصانة .. يتكلم بحنكة .. يتكلمُ كأنه عالم نفس .. كل هذا من بقايا دراسته الثانوية .. (نيرى رجل مكتنز لم يكن بارعًا جدًّا فى المدرسة لكنه تفوق فى عالم الرياضة البدنية) ..

يقول لهم :

ـ « هناك أناس هم خليط من رجلين .. نوع من الشخصيات المنفصمة .. تعرفون هذا .. هؤلاء أنا أدعوهم مرضى الفصام الملاعين .. »

يصمت ويصغى للصمت المحترم الذى يحييه ، ويواصل :

ـ « أنا أعتقد أن هذا الرجل .. أعتقد أنه لا يعرف ما يقوم به حين يكتمل القمر .. يخرج ليقتل أى شخص ، ويمكنه أن يكون أى شخص .. يمكنه أن يكون صرافًا فى مصرف .. عاملاً فى محطة نفط .. ربما هو واحد منا الآن .. من جهة أنه يبدو حيوانًا من الداخل وبشريًا من الخارج .. يمكنكم أن تراهنوا على أننى أوافق .. لكن لو حسبتم أنى أعنى أن هناك شخصًا يخرج منه الشعر ويعوى فى ضوء القمر .. لا .. هذا الهراء للأطفال .. »

يسأله (ستان) الحلاق وهو يعمل جاهدًا فى كرة الشحم تحت عنق (نيرى) ، ومقصه الحاد يعمل .. سنيب .. سنيب .. سنيب :

ـ « ماذا عن الصبى (كوزلو) يا (نيرى) ؟ »

ـ « هذا يؤكد ما قلته .. هذا الهراء للأطفال .. »

فى الحقيقة كان ساخطًا بسبب ما حدث مع (مارتى كوزلو) .. إن هذا الصبى هو أول شاهد عيان على المجنون الذى قتل ستة أشخاص فى البلدة ، بما فيهم صديقه العزيز (ألفى نويفلر) .. ثم هل سمحوا له باستجواب الصبى ؟ لا .. هل يعرف حتى مكان الصبى ؟ لا .. فقط عليه أن يقرأ الشهادة المكتوبة التى أرسلتها له شرطة الولاية ، وأن ينحنى ويرضى بما منحوه إياه ..

كل هذا لأنه كونستابل بلا أهمية فى بلدة صغيرة .. شرطة الولاية تعتبره مجرد شرطى طفل .. لا يستطيع أن يعقد رباط حذائه .. لأنه لا يلبس قبعاتهم الفاخرة ..

والشهادة ! إنها تصلح لاستعمالها كنوع من ورق التواليت لا أكثر !

حسب كلام الصبى ، فقد كان ارتفاع الوحش سبعة أقدام ، وكان الشعر الأسود يغطيه .. كانت له أسنان حادة وعينان خضراوان .. كانت له مخالب تبدو كاليدين .. يعتقد أنه كان بذيل .. ذيل !

قال (كينى فرانكلين) من مكانه فى الصف بانتظار الحلاقة :

ـ « ربما هذا ثوب تنكرى يضعه الرجل .. مثل القناع كما تعلم .. »

يقول (نيرى) فى ثقة وهو يدير رأسه ليؤكد كلامه :

ـ « لا أعتقد هذا .. »

فيضطر (ستان) إلى التراجع بالمقص بسرعة كى لا يغرس النصل فى كتلة الشحم التى كان يحلقها ..

ـ « لا أعتقد هذا .. إن الأمر واضح .. أمر واضح من الناحية النفسية المنطقية اللعينة .. الصبى يجلس على مقعده المتحرك ويسمع عشرات من القصص المرعبة

عن المذعوبين فى المدرسة .. الآن هو يجلس فى الظلام يراقب الغابة ليلاً ، فلو خرجت أنت نفسك إليه فى الليل فى ضوء القمر لاعتقد أنك ذئب ! »

يضحك (كينى) فى توتر ...

ـ « لا .. » ـ يواصل (نيرى) الكلام ـ « شهادة الصبى لا تصمد على الإطلاق .. »

وتنكر شهادة (مارتى كوزلو) التى أخذت منه فى بيت خالته فى (ستوى) .. لقد تجاهل الكونستابل هذه الفقرة :

« أربعة من المتفجرات أصابت جانب وجهه .. أعتقد أنه قد فقد عينًا .. عينه اليسرى .. »

لو فكر الكونستابل مليًا فى هذه الفقرة ـ وهو لم يفعل ـ لضحك كثيرًا جدًا ، لأنه لم يكن هناك فى القرية كلها وفى شهر أغسطس الحار هذا عام 1984 ، إلا شخص واحد يضع ضمادة على عينه .. من المستحيل أن تفكر فى هذا الشخص من بين كل الآخرين باعتباره القاتل .. لربما صدق (نيرى) أن تكون أمه العجوز هى القاتل قبل أن يصدق هذا ..

قال (نيرى) وهو يشير بإصبعه إلى الرجال الذين جلسوا جوار الحائط ينتظرون دورهم فى حلاقة السبت ..

ـ « ثمة شىء واحد يمكن أن يحل هذه القضية .. وهو العمل البوليسى الجيد .. ولسوف أكون أنا من يفعل هذا .. » ـ وراح يحلم ـ « يمكن للقاتل أن يكون أى واحد .. صراف مصرف .. عامل نفط .. شخصًا تشرب وتجلس معه فى البار .. لكن العمل البوليسى سيجده .. تذكروا ما أقول .. »

لكن عمل (نيرى) البوليسى الجيد بلغ نهايته هذه الليلة ، حين امتدت ذراع لها لون فضة القمر من نافذة سيارته الدودج ، بينما هو يقف عند تقاطعين عند غرب (تاركرز ميلز) ..

سمع صوت غطيط خفيض ثم شم رائحة مروعة مخيفة كالتى تشمها فى بيت الأسود فى حديقة الحيوان ..

يدير رأسه ليرى عينًا خضراء .. يرى الفراء والخطم الأسود .. وحين يتجعد الخطم يرى الأسنان .. ضربه الوحش على خده بمخالبه كأنما يلاعبه .. شعر بالدم الدافئ يبلل ظهر قميصه وصدره ..

يصرخ .. يصرخ .. من فمه ومن خده الذى طار .. يمكنه أن يرى القمر الأبيض يغمر المكان ..

نسى كل شىء عن المسدس المعلق فى حزامه .. نسى كيف أن كل هذا واضح من الناحية النفسية المنطقية اللعينة .. نسى كل شىء عن عمل الشرطة الجيد .. فقط راح عقله يتذكر شيئًا قيل عند الحلاق صباحًا : ربما كان هذا الشخص يلبس قناعًا أو ثياب تنكر ..

لهذا مد كفه إلى وجه الوحش بينما هذا يفتش عن حنجرته ، وجمش قبضتين من الفراء الخشن .. وتمنى أن يتمزق القناع .. أن يسمع صوت المطاط يتقطع .. أو أن يسمع صوت اللاتكس وعندها يرى القاتل ..

لكن شيئًا لم يحدث إلا زئيرًا أليمًا والغضب من الوحش .. إنه يضربه بيد مخلبية .. نعم هو يرى أنها يد .. فقط هى مشوهة بعنف ..

لقد كان الصبى على حق ..

ويغرق الدم زجاج السيارة ومقعدها .. ويملأ زجاجة الشراب التى وضعها الكونستابل بين فخديه ..

يمد الوحش فكيه ويطبق على عنق الكونستابل ، ويجره من النافذة حتى خصره .. ثم يبدأ فى إتمام ما بدأه ..

هذا أكثر مما تتحمله الناحية النفسية المنطقية ..

هذا أكثر مما يتحمله عمل الشرطة الجيد ..

* * *

سبتمبر ..

إذ يمر الشهر وتدنو ليلة اكتمال القمر من جديد ، ينتظر الناس الخائفون فى (تاركرز ميلز) أن تتغير درجة الحرارة ، لكن هذا لا يحدث .. يعرف الناس من النشرات أن انهيارًا جليديًا مروعًا حدث فى (كندا) ، لكن هنا فى (تاركرز ميلز) يبدو كأن الصيف قد توقف للأبد ..

الأطفال عادوا للمدَارس لكنهم لا يشعرون بالسعادة ، وهم جالسون فى حجرات الدراسة غارقين فى العرق .. بينما الساعات تبدو كأنها تعلمت ألا تتحرك إلا دقيقة واحدة كلما تحرك الزمن الحقيقى ساعة ..

الناس يزدادون عصبية ، وفى محطة النفط يتجادل (باكي) مدير المحطة مع زبون حول سعر البنزين ، من ثم يضربه على رأسه بفوهة الخرطوم .. ويحتاج الزبون إلى أربع غرز فى شفته العليا وينصرف مهددًا بالكثير من القضايا ودعاوى التعويض ..

يقول (باكى) فى ضيق ليلتها فى الحانة :

ـ « لا أعرف عم يتكلم .. لقد ضربته بنصف قوتى .. لو أننى ضربته بمجمع قوتى لهشمت وجهه الوسيم .. أنتم تعرفون »

يقول (بيلى روبرتسون) :

ـ « بالتأكيد .. »

لأنه يشعر أن (باكى) سيضربه بكل قوته لو أنه أظهر عدم موافقة ..

(ميلت ستورمفولر) يتسبب فى دخول زوجته (دونا لى) المستشفى بسبب بقعة بيض فى صحن لم تعن بها غسالة الأطباق .. نظر إلى هذه البقعة الصفراء المتسخة على الطبق الذى قدمته له للغداء ، وناولها ضربة طيبة .. وكما يقول (باكى) فإن الرجل ضرب زوجته بكل قوته ..

هى الآن على أرض المطبخ وأنفها ينزف .. وهو يشتمها بجنون ..

ـ « أمى كانت تنظف الأطباق جيدًا .. ولم تكن تملك غسالة أطباق .. ماذا دهاك ؟ »

فيما بعد سيخبر الطبيب فى مستشفى (بورتلاند العام للطوارئ) أن (دونا لى) سقطت من فوق الدرج .. وتوافقه الزوجة معدومة الحيلة بعد ما قضت تسع سنوات فى (جبهة الزواج الحربية) ..

وفى السابعة مساء هبت ريح باردة هى الأولى منذ بداية الصيف .. وحملت معها بعض السحب لتغطى القمر .. وللحظات لعب القمر لعبة الاستخفاء مع هذه السحب ، ولون أطرافها باللون الفضى ، ثم ازدادت السحب كثافة فتوارى القمر تمامًا ..

لكن ما زال هناك ..

شعرت به أمواج المد على بعد عشرين ميلاً من (تاركرز ميلز) واستجابت لجذبه لها ..

وكذا فعل الوحش ..

وفى الثانية صباحًا يتعالى صراخ مريع من حظيرة خنازير (إلمر زينمان) على الطريق الغربى .. على بعد نحو اثنى عشر ميلاً من البلدة ..

يحضر (إلمر) بندقيته وهو لا يلبس إلا سروال منامته وخفيه ..

تتوسل له زوجته - التى كانت جميلة عندما تزوجها عام 1947 - وتبكى وترجوه أن يبقى معها .. لكنه يبعدها عنه ويلتقط بندقيته ..

الخنازير لا تصرخ فقط بل هى تستغيث .. كأن صراخها صراخ مجموعة من البنات الصغيرات هاجمهن مجنون فى الغابة .. إنه ذاهب .. لا شىء يمنعه من الذهاب .. ثم يتصلب عند مصراع الباب الخلفى ، إذ يتردد عواء انتصار فى الليل ..

أنه عواء ذئب ، لكن فيه شيئًا بشريًا ما إلى درجة أن يده سقطت عن المصراع .. وترك زوجته تجره إلى الوراء .. يضع ذراعه حول كتفها ويقتادها إلى الأريكة ، وهناك يحتضنان بعضهما ويرتجفان كطفلين مذعورين ..

الآن بدأ صراخ الخنازير يضعف ثم يتوقف .. نعم .. يتوقف .. واحدًا تلو الآخر .. يعوى الوحش من جديد وصراخه فضى كالقمر نفسه ..

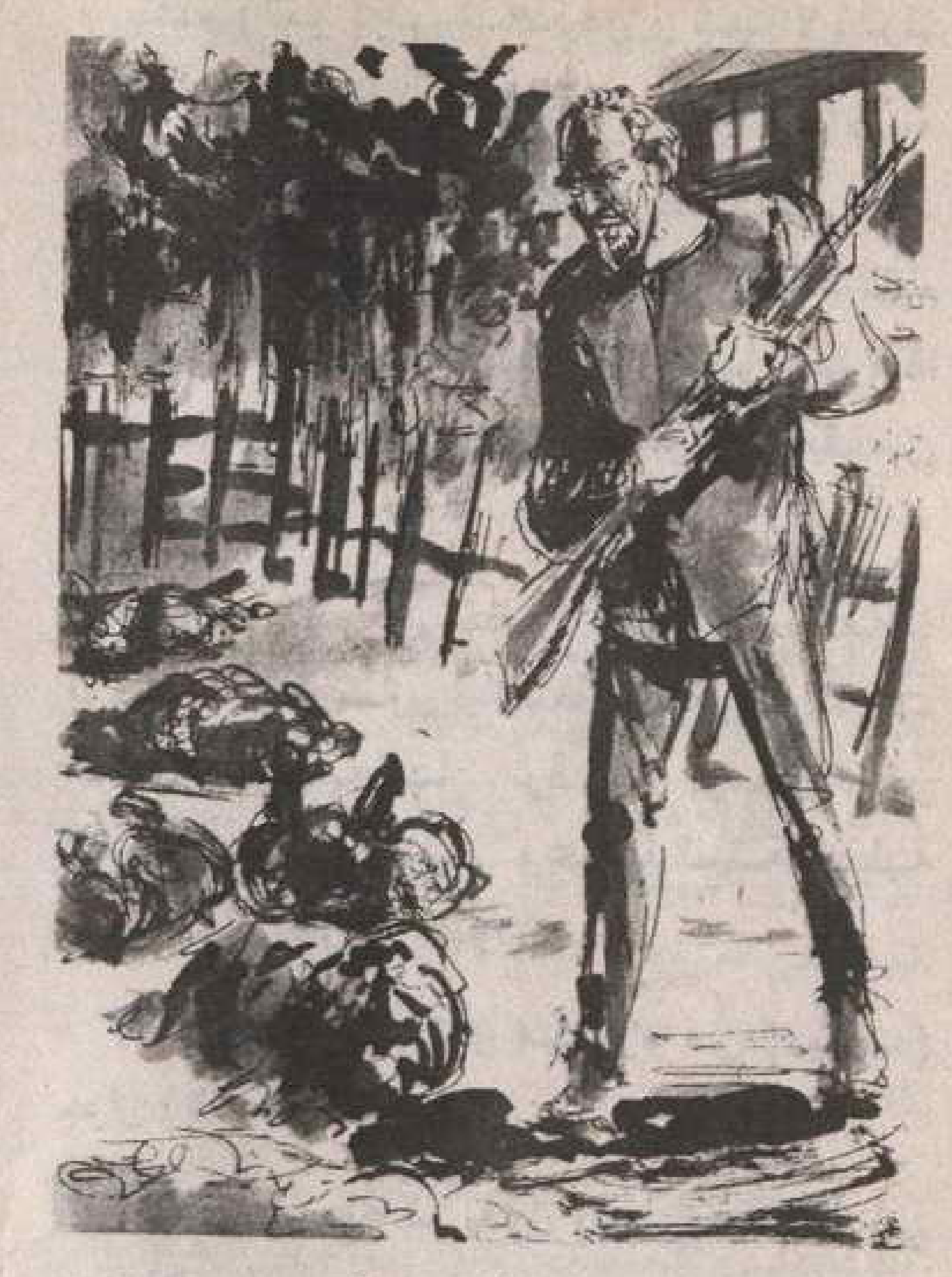
يتقدم (إلمر) إلى النافذة فيرى شيئًا لا يعرف ما هو ، يجرى ليتوارى فى الظلام ..

يأتى المطر ويضرب نوافذ غرفة النوم حيث ينكمش الرجل وامرأته معًا .. وكل أنوار غرفة النوم مضاءة .. إنه مطر بارد .. أول مطر فى هذا الخريف .. وغدًا يغزو أوراق الأشجار أول طيف من اللون الأصفر ..

وقد وجد (إلمر) فى حظيرة الخنازير ما توقعه .. الوحشية .. كل خنازيره التسعة ميتة وقد انتزعت أحشاؤها وأكل بعضها .. ترقد فى الوحل والمطر البارد ينهمر على جثثها .. وعيونها الميتة متصلبة على السماء الخريفية الباردة ..

يقف أخوه (بيت) الذى استدعوه من (مينوت) جوار (إلمر) ..

لا يتكلمان لوهلة ثم يقول (بيت) ما يدور فى ذهن (إلمر) :



وقد وجد (إلمر) فى حظيرة الخنازير ما توقعه .. الوحشية .. كل خنازيره التسعة ميتة ..

- « سيغطى التأمين بعض الخسائر .. ليس كلها بل بعضها .. ربما أستطيع تدبير الباقى .. لحسن الحظ أنها خنازيرى وليست خنازير شخص آخر »

يهز (بيت) رأسه ويقول وقد صار كلامه غمغمة لا يمكن سماعها فوق المطر :

- « هذا كاف .. »

- « ماذا تعنى ؟ »

- « تعرف ما أعنيه .. عندما يصير القمر بدرًا فى المرة القادمة سيخرج أربعون رجلاً .. ربما ستون أو مائة .. لقد بدأت المشاكل حين قرر الناس أن يكفوا عن البحث ويتظاهروا بأن شيئًا لا يحدث .. بينما أى أحمق يمكنه أن يرى .. انظر هنا بحق السماء ! »

ويشير (بيت) إلى الخنازير المذبوحة .. وعلى الأرض ترى أثرًا ضخمًا .. أثرًا كأنه لذئب .. لكنها كذلك تبدو آدمية بشكل ما ..

- « هل ترى هذه الآثار اللعينة ؟ »

- « أراها .. »

- «لقد صنعها مذعوب .. أنت تعرف هذا .. (أليس) تعرف هذا .. أكثر القوم هنا يعرفون هذا .. يا للجحيم ! وحتى أنا أعرف هذا .. »

وينظر إلى أخيه ويتصلب وجهه فيتحول إلى وجه فلاح بيوريتانى من (نيو إنجلند) من عام 1650 ..

- « يكفى هذا ..حان وقت أن ينتهى هذا الشىء .. »

ويفكر (إلمر) فى الأمر ، بينما المطر يبلل المشمع الذى يرتديانه .. ثم يهز رأسه :

- « أعتقد .. لكن ليس البدر القادم .. »

- « ترى الانتظار حتى نوفمبر ؟ »

- « غابة عارية من أوراق الشجر .. رؤية أفضل تسهل تتبع الأثر .. ولو ظفرنا ببعض الجليد .. »

- « وماذا عن هجمة الشهر القادم ؟ »

ينظر (إلمر) إلى الخنازير الممزقة جوار الجرن وينظر لأخيه (بيت) ويقول :

- « من الخير للناس أن يلزموا الحذر .. »

* * *

أكتوبر ..

حين يعود (مارتى كوزلو) من احتفالات (الهالوين) وقد نفدت بطارية مقعده المتحرك تمامًا .. يتجه إلى الفراش مباشرة ، ويظل متيقظًا حتى يبزغ الهلال فى السماء التى تزينها النجوم كأنها شظايا الماس .. وفى الشرفة حيث أنقذت حياته بعض الألعاب النارية لعيد الرابع من يوليو ، تطير ريح باردة أوراق أشجار بنية جافة ، فى دوامات بلا هدف .. تصدر صوتًا كأنها العظام القديمة ..

لقد جاء بدر أكتوبر ومضى دون أن تحدث حوادث قتل جديدة فى (تاركرز ميلز) .. هذا هو الشهر الثانى الذى يحدث فيه هذا .. يعتقد كثيرون ومنهم (ستان) الحلاق و(كال بولدوين) تاجر السيارات المستعملة أن الرعب انتهى .. كان القاتل متسكعًا يعيش فى الأحراش وقد رحل الآن ..

البعض ليسوا بهذه الثقة .. إنهم هؤلاء الذين يعلقون أهمية بالغة على الغزلان الأربع التى وجدوها مذبوحة صبيحة اكتمال القمر بدرًا وعلى خنازير (إلمر) التى قتلت فى ليلة اكتمال القمر فى (سبتمبر) ..

وفى ليالى الخريف الطويلة يدور النقاش حاميًا فى الحانة ..

لكن (مارتى كوزلو) يعرف ..

هذه الليلة خرج مع أبيه يلعبان لعبة (حيلة أم حلوى) الخاصة بليلة الهالوين .. (إن أباه يحب الهالوين بصفة خاصة) .. كان (مارتى) متنكرًا فى ثياب (يودا) قزم حرب الكواكب الشهير ، بقناع مطاطى يغطى رأسه ، وعباءة عملاقة تغطى قدميه الضامرتين ..

ـ « أنت تنال دائمًا ما تريد لأنك معوق .. »

تقولها أخته فى ضيق حين ترى قناعه المتقن ..

لكنه يعرف أنها ليست حانقة عليه فعلاً .. لكنها حزينة نوعًا لأنها الآن أكبر من أن تخرج لممارسة هذه الألعاب .. بدلاً من ذلك ستذهب للحفلات مع صديقاتها .. سترقص على أغانى (دونا سمر) وتلعب لعبة تدوير الزجاجة ..

يقله أبوه فى السيارة (الفان) لأن لها منحدرًا جانبيًا يسهل إنزال المقعد المتحرك والصعود به ..

مع أبيه يزوران كل المنازل فى الجوار ، وبعد هذا تهتز العربة عبر الشوارع وهى تتجه لزيارة المنازل فى وسط البلدة .. إلى آل (ماكين) وآل (كولينز) وآل (إيستون) .. هناك سلطانية مفعمة بالحلوى فى الحانة .. وهناك قضبان من الشيكولاته فى الكنيسة المعمدانية .. الآن صارت لدى (مارتى) حقيبة مليئة بكل أشكال الحلوى ..

وخبرة مخيفة لا تصدق ..

إنه يعلم ..

إنه يعرف من هو المذءوب ..

فى لحظة ما من رحلته وضع الوحش قطعة من الحلوى فى حقيبته .. غير عالم أن وجه (مارتى) شحب كالموتى تحت قناع (يودا) .. يبتسم له الوحش .. ثم يربت على رأسه المطاطى ..

لكنه هو المذءوب .. (مارتى) يعرف هذا ليس لأن الرجل يضع عصابة على عينه فقط .. ثمة تشابه معين بين وجه هذا الرجل الآدمى ووجه الذئب المفترس الذى رآه فى ضوء القمر تلك الليلة من أربعة أشهر ..

منذ عاد من (فيرمونت) إلى (تاركرز ميلز) ، كان (مارتى) يلاحظ بعناية ، عالمًا أنه سيلقى المذءوب يومًا ما .. وكان يعرف أن المذءوب هو رجل ذو عين واحدة الآن ..

وبرغم أن رجال الشرطة هزوا رءوسهم وقالوا إنهم سيحققون فى الأمر ، فقد كان واثقًا أنه أتلف إحدى عينى المذءوب .. وكان يعرف أنهم لا يصدقون

حرفًا من كلامه .. ربما لأنه مجرد صبى .. وربما لأنهم لم يكونوا هناك ليلة الرابع من يوليو .. على كل حال .. لا يهم .. إنه متأكد من كلامه ..

إن (تاركرز ميلز) بلدة صغيرة لكنها مترامية ، وحتى أمس لم يكن (مارتى) قد رأى أى رجل بعين واحدة .. ولم يجسر على السؤال ..

إن أمه تخشى أن تكون مأساة (يوليو) قد أثرت فيه بشكل دائم .. وكان يخشى أن يبدأ التجسس فيصل الأمر إليها فى النهاية ..

إن (تاركرز ميلز) بلدة صغيرة لكنه عاجلاً أم آجلاً سيرى الوحش فى وجهه الآدمى ..

عائدين للمنزل شعر مستر (كولزو) أو (الكوتش) كما يسميه آلاف الطلبة .. شعر بأن (مارتى) صامت أكثر من اللازم ربما بسبب إثارة الليلة التى أرهقته .. لكن (مارتى) لم يشعر قط بهذه الحيوية إلا فى ليلة الألعاب النارية ..

كان (مارتى) يفكر فى شىء واحد : السبب الذى جعل كل هذا الوقت يمضى دون أن يكتشف المذءوب هو أنه لا يذهب إلى هذه المدرسة بالذات ..

إن الرجل ذو الرقعة على عينه .. الرجل الذى دس الحلوى فى حقيبته .. ثم ربت على رأسه .. كان هو (جيمس لستر) مدرس القرية ..

رآه ينحنى من الباب وقد وضع الرقعة على العين ، والضوء الأصفر يتسلل من الباب ..

قال مستر (كولزو) فى صوته المتفاهم :

ـ « آسف بخصوص عينيك يا مستر (لستر) .. أرجو ألا يكون الأمر خطيرًا .. »

ظهرت المعاناة على وجه (لستر) مع ابتسامته .. وقال إنه فقد العين بسبب ورم حميد .. كان لابد من إزالة العين لإزالة الورم .. وربت على رأس (مارتى) وقال إنه يعرف أناسًا يعانون مصائب أكبر من هذه ..

الآن يرقد (مارتى) فى فراشه يصغى لريح (أكتوبر) فى الخارج .. تهز آخر أوراق الخريف .. تصفر عبر ثقوب حبات القرع الموضوع على مدخل المنزل كما هى العادة ليلة (الهالوين) .. يرقب الهلال يمتطى السماء ..

السؤال هو : ماذا يفعل الآن ؟

لا يعرف .. لكنه متأكد من أن الإجابة آتية لا شك فيها ..

ينام نوم الشباب العميق الخالى من الأحلام .. بينما فى الخارج تهب الريح فوق (تاركرز ميلز) .. تغسل (أكتوبر) وتجلب بدلاً منه (نوفمبر) البارد المزدان بالنجوم ..

شهر الخريف الحديدى ..

* * *

نوفمبر ..

نهاية العام قد جاءت إلى (تاركرز ميلز) .. يبدو كأن خروجًا غريبًا يتم فى الشارع الرئيسى ..

يرقبه الأستاذ (جيمس لستر) من على باب مسكنه .. كان قد خرج ليأخذ البريد الخاص به ، فرأى صف السيارات نصف النقل المتربة والشاحنات وعربات الـ (فورد) والـ (شيفروليه) تشق طريقها خارجة من البلدة ..

الجليد قادم .. هذا ما قالته نشرة الأخبار .. لكن هؤلاء ليسوا هاربين من العاصفة .. وحتى لو كنت تبحث عن الدفء فأنت لا تخرج لابسًا سترة الصيد ، وعلى ظهرك بندقية ، وكلابك تتقدمك ..

هذا هو اليوم الرابع لـ (إلمر زيمان) وأخيه (بيت) إذ يخرجان مع الكلاب والسلاح .. لقد صارت (موضة) بمجرد أن اقترب موعد اكتمال البدر .. انتهى موسم الطيور وكذا موسم الغزلان .. لكن موسم صيد المذءوبين ما زال مفتوحًا .. وأكثر هؤلاء الرجال ـ برغم تعبير الخطورة الفروسية على وجوههم ـ ينعمون بوقتهم حقًا ..

كان (جيمس لستر) يعرف أن بعض هؤلاء الرجال لا يبغون سوى العبث .. شرب البيرة .. التبول فى مجارى المياه .. قص النكات عن الضفادع والزنوج .. إطلاق الرصاص على السناجب .. إنهم الحيوانات الحقيقية .. تمتد يده لاشعوريًا إلى عصبة العين التى وضعها منذ يوليو ..

لسوف يُطلق أحدهم النار على آخر .. من حسن حظهم أن هذا لم يحدث بعد ..

تبتعد آخر العربات عن (تاركرز ميلز) .. والأبواق تتعالى والكلاب تنبح .. نعم .. بعض الرجال يعبثون لا أكثر .. لكن (إلمر) وأخاه ـ على سبيل المثال ـ جادان فعلاً ..

لو خرج هذا الشىء ـ إنسانًا أو حيوانًا ـ فلسوف تشم الكلاب رائحته .. هكذا سمعهم (جيمس لستر) يتكلمون فى المقهى منذ أسبوعين .. ولو لم يقرر الشىء أن يخرج فعلى الأقل لن يؤذى أحدًا .. بهذا نكون قد أنقذنا حياة .. ربما ماشية أحدهم على أقل تقدير ..

نعم .. منهم دستة من الرجال على الأقل جادون تمامًا .. لكن لم يكن هؤلاء من أثار هذا الشعور لدى (جيمس لستر) .. الشعور بالحصار .. بأنه وصل إلى الشاطئ ولا سبيل للركض أكثر ..

إنها المذكرات ..

المذكرات التى كان أطولها يتكون من جملتين كتبتا بخط طفولى مع بعض أخطاء الهجاء .. ينظر إلى الخطاب الذى جاء فى بريد اليوم موجهًا له بنفس الكتابة الطفولية ..

شعور الحصار هذا .. الشعور الذى يتخيل أن الثعلب يشعر به حين يدرك أن الكلاب اقتادته إلى طريق مسدود .. هذه اللحظة من الذعر .. الثعلب يتراجع .. يكشف عن أنيابه .. يستعد للمعركة مع الكلاب التى ستمزقه إربًا بالتأكيد ..

يغلق الباب فى حزم .. يدخل إلى الردهة حيث ساعة الجد تدق دقاتها المهيبة : تيك مهيبة وتوك مهيبة ..

يجلس ..

يفتح المذكرة التى جاءته ، وكالعادة لا توجد تحية

بها .. وهى غير موقعة كالأخريات .. فى وسطها ورقة مقطوعة من كراس تلميذ عليها كتب التالى :

« لم لا تقتل نفسك ؟ »

يغطى الرجل جبهته ويرتجف قليلاً .. بيده الأخرى يطوى الورقة ويضعها فى مطفأة التبغ فى وسط المنضدة .. يتناول علبة من الثقاب ويحرق المذكرة كما فعل مع سابقاتها .. يرقبها وهى تحترق ..

كانت معرفة الرجل بحقيقته قد جاءت على مرحلتين .. أولاً بدأ يشعر أن شيئًا .. حسن .. ليس على ما يرام معه .. لا يجد طريقة أخرى يصف بها الموقف .. هناك شىء خطأ بخصوصه ..

لكنه يعرف أنه يصحو أحيانًا فى الصباح بعدما يكون القمر بدرًا .. شاعرًا بأنه بحالة طيبة إلى درجة لا توصف .. قوى جدًا .. يقظ جدًا ..

هذا الشعور يتغير بتغير القمر ، يصل ذروته عند موعد البدر التالى ..

بدأ يلاحظ أشياء كان ميالاً إلى أن يتجاهلها .. الثياب الممزقة المتسخة .. الخدوش والرضوض التى لا يعرف لها سببًا (لكنها لا تؤلم مثل الخدوش العادية .. لهذا كان من السهل أن يتجاهلها .. أو على الأقل .. لا يفكر فيها) .. بل كان بوسعه أحيانًا أن يتناسى بقع الدم التى يجدها على يديه .. وشفتيه ..

ثم فى المرحلة الثانية ـ يوم الخامس من يوليو ـ صحا من نومه وقد عميت إحدى عينيه .. لم يكن هناك ألم .. فقط محجر عين فارغ مشوه حيث كانت عينه اليسرى ..

هنا صار إدراكه غير قابل للإنكار ..

إنه هو الوحش .. هو المذءوب ..

فى الأيام الثلاثة السابقة شعر بتلك المشاعر المألوفة .. توتر عظيم .. نفاد صبر يوشك أن يكون سارًا .. شعور بالتوتر العضلى فى كل جسده .. إنه قادم ثانية .. التبدل هنا من جديد ..

هذه الليلة سيكتمل القمر وسيخرج الصيادون بكلابهم .. لا يهم .. إنه أذكى مما يظنون ..

إنهم يتكلمون عن رجل ذئب ، لكنهم يفكرون فى ذئب لا أكثر .. لينطلقوا فى سياراتهم ، ولينطلق هو بسيارته السيدان الصغيرة .. وعصر اليوم سينطلق بسيارته إلى طريق (بورتلاند) ويقيم فى فندق خارج البلدة ..

فإذا جاء التحول لن يكون هناك صيادون ولا كلاب ..

ليسوا هم القادرين على إفزاعه ..

لماذا لا تقتل نفسك ؟

المذكرة الأولى جاءت هذا الشهر وكانت تقول :

- « أنا أعرف من أنت »

الثانية كانت تقول :

- « أنت رجل طيب .. غادر البلدة .. اقصدْ مكانًا تجد فيه حيوانات تقتلها لا بشرًا .. »

الثالثة كانت تقول :

أنه الأمر ..

هذا كل شىء .. والآن تقول المذكرة : لم لا تقتل نفسك ؟

لأننى لا أريد .. أنا لم أتعمد ما صرت إليه .. لم يعضنى ذئب أو يسحرنى غجرى ، لكن هذا .. حدث ..

كنت أجمع بعض الزهور عند تلك المقبرة الجميلة فوق (سنشاين هيـل) .. لـم أر قط زهورًا كهذه .. وقد ماتت قبل أن أعود بها إلى المدينة .. اسودت جميعًا ..

أعتقد أن الأمر بدأ من هنا ..

لن أقتل نفسى .. فهم الحيوانات لا أنا ..

من يكتب هذه المذكرات ؟

لم يكن يعرف .. إن الهجمة على (مارتى كوزلـو) لم تُنشر فى الصحف ، وهو لـم يلق الطفل قط من قبل .. كما أنه لم يعتد سماع ثرثرة المواطنين .. إن (جيمس لستر) لا يعرف شيئًا عن (مارتى) .. كمـا أنه لا يذكر ما يفعله فى هجماته الذئبية .. فقط يذكـر الرضا عن النفس حين تنتهى دورة الشهر ، ويرتقب شهرًا آخر ..

أنا لن أقتل نفسى أبدًا .. أنا أقوم بعمل الخير ، ولـو كان هناك شر أعمله فقد ارتكب الشرور من هم قبلى ..

ولكن من هو ؟

هل أجرى تحريات ؟ من الذى هوجـم يوم الرابـع من يوليو ؟

كيف فقدت ـ أو فقد الكائن ـ عينًـا ؟ ربمـا يجب إسكات هذا الشاهد .. لكن ليس هذا الشهر ..

دعهم يضعوا الكلاب فى جحورها أولاً ..

بـدأ يمشـى أسرع فأسرع غير مـدرك أن لحيتــه (وهى خفيفة أصلاً تسمح له بحلاقتها كل ثلاثة أيام) صارت الآن طويلة مشعثة خشنة .. وأن عينه الوحيـدة اكتسبت ظلاً بلون البندق يزداد حتى يقترب من لـون الزمرد الأخضر الذى ستكونه فى نهاية الأمسية ..

لقد بدأ يكلم نفسه .. لكن الكلمات تغدو خفيضة أكثر فأكثر كأنها زمجرة ..

وأخيرًا إذ ازداد عصر نوفمبر الرمادى قتامة ، جرى إلى المطبخ .. اختطف المفاتيح وجرى تقريبًا إلى السيارة ..

يقودها فى طريق (بورتلاند) مبتسمًا .. لا يبطئ حتى حين يبدأ الجليد المتساقط يلمع فى ضوء كشافاته .. كأنها راقصات قادمات من السحاب ..

إنه يشعر بالقمر فوق السحب .. يشعر بقوته .. يتمدد صدره ويشد خيوط قميصه الأبيض ..

يدير الراديو إلى محطة (روك آند رول) .. ويشعر بالتحسن !

كل هذا جميل .. كل هذا رائع ! كل هذا مضحك .. مضحك لأنه ذهب كل المسافة إلى (بورتلاند) كى يتحول

إلى وحش .. والرجل الذى مزقه فى تلك الليلة لم يكن إلا (ميلت ستورمفولر) .. وهو رجل أقام طيلة حياته فى (تاركرز ميلز) .. وكان هذا نوعًا من العدالة لأنه لو كان هناك رجل على أعلى درجة من القذارة فى (تاركرز مليز) فهو (ميلت ستورمفولر) ..

كان قد ذهب هناك كالعادة بعد ما أخبر زوجته البائسة (دونا) أنه ذاهب لعمل .. والعمل كان فى الحقيقة عبثًا خالصًا ..

لقد ذهب الأستاذ (جيمس لستر) إلى فندق يدعى (درفتوود) وهو نفس الفندق الذى اختاره (ميلت ستورمفولر) لقضاء الليلة ..

يخرج (ميلت) فى العاشرة والربع ليجلب زجاجة شراب من سيارته ، وهو يهنئ نفسه على أنه اختار ليلة القمر البدر ليكون بعيدًا عن (تاركرز ميلز) ..



اذا بالوحش ذى العين الواحدة يثب عليه ليفصل رأسه بضربة واحدة .

إذا بالوحش ذى العين الواحدة يثب عليه ليفصل رأسه بضربة واحدة ..

كان آخر صوت سمعه (ميلت) فى حياته هو الوحش يطلق زئير الانتصار .. ثم تدحرج رأسه على حين غرس الوحش فمه فى عنقه وراح يتغذى ..

وفى الصباح التالى يجد (جيمس لستر) نفسه فى (تاركرز ميلز) .. يشعر بأنه فى أحسن حال ..

ويقرأ خبر الحادث فى الجريدة فيفكر فى وقار : لم يكن هذا الرجل طيبًا ..

ثم يفكر .. من الصبى الذى يرسل له المذكرات ؟ من الذى هوجم فى يوليو ؟

حان وقت معرفة هذا ..

حان وقت سماع بعض الثرثرة ..

يعيد إصلاح الرقعة على عينه .. ويفكر ..

سوف أجده وسوف أخرسه ..

للأبد ..

★ ★ ★

ديسمبر ..

مرت خمس عشرة دقيقة بعد منتصف الليل .. فى (تاركرز ميلز) كما فى العالم كله ، يدنو العام من نهايته .. وفى (تاركرز ميلز) كما فى العالم كله قد غير العام الماضى الكثير من الأشياء ..

قد مات (ميلت ستورمفولر) وقد تحررت زوجته (دونا لى) أخيرًا من عبوديتها ، وغادرت البلدة .. رحلت إلى (بوسطون) كما يقول البعض ، أو إلى (لوس أنجيليس) كما يقول آخرون ..

لقد مات (كلايد كورليس) لكن أخويه الفاشلين (ألدن) و(إيرول) حيان وبخير .. الجدة (هيج) التى اعتادت أن تصنع أفضل الفطائر قد ماتت بنوبة قلبية ..

(ويلى هارنجتون) الذى بلغ الثانية والتسعين ، قد تعثر على الجليد أمام بيته وهشم عظمة (حرقفه) .. لكن المكتبة قد نالت مبلغًا ماليًا محترمًا فى وصية أحد السكان الأثرياء .. ولسوف تبدأ التجديدات فى جناح الأطفال الذى كثر الحديث عنه فى اجتماعات مجلس البلدة ..

(أولى باركر) ناظر المدرسة أصيب برعاف شديد (نزف أنفى) لم يتوقف ، وتم تشخيصه بأنه ناجم عن ارتفاع فى ضغط الدم .. قال له الطبيب إنه محظوظ لأنه لم يفجر مخه .. وأمره بأن يفقد أربعين رطلاً ، والغريب أن (أولى) فقد عشرين قبل أن يحين الكريسماس ، مما جعله يبدو رجلاً آخر ..

(برادى كينامسيد) الذى قتله الوحش وهو يطير طائرة ما زال ميتًا .. و(مارتى كولزو) ما زال معوقًا ..

أشياء تتغير .. أشياء لا تتغير ..

هناك عاصفة جليدية تعوى من بعيد .. والوحش موجود .. فى مكان ما ..

فى غرفة المعيشة فى الدار يشاهدان عرض (روك العام الجديد) ، يجلس (مارتى) وخاله (آل) .. خاله على الأريكة و(مارتى) أمام التلفزيون على مقعده ..

هناك مسدس على حجر (مارتى) .. مسدس وودزمان 8 كولت .. هناك رصاصتان فى المسدس وكلتاهما من الفضة الخالصة .. لقد جعل الخال أحد رفاقه يصنع له هاتين الرصاصتين فى قالب رصاص ..

بعد اعتراض وافق هذا الصديق على أن يذيب ملعقة فضية تخص (مارتى) باستعمال لهب (البروبان) .. وقام بتحديد كمية البارود التى تحتاج إليها الرصاصة ..

- « لا أضمن لها النجاح .. لكن ربما تنجح .. ماذا تنوى قتله يا (آل) .. أمذءوب أم ربما مصاص دماء ؟ »

قال الخال ضاحكًا :

- « واحدًا من كل نوع .. لهذا طلبت اثنتين .. كان هناك عفريت كذلك لكن أباه مات ، واضطر إلى أن يستقل الطائرة إلى (فارجو) »

وضحك الرجلان من هذا ..

وقال (آل) :

- « إنهما لابن أخت لى .. إنه يهيم حبًا بوحوش السينما .. وظننت أن هذه ستكون هدية كريسماس مناسبة له .. »

فى الحقيقة لم يكن الخال (آل) يعرف ما يعتقده .. لم ير (مارتى) منذ رحلته إلى (تاركرز ميلز) فى

الثالث من يوليو .. وكما توقع اتصلت به أخته وكانت متوحشة بصدد موضوع الألعاب النارية .. كان من الممكن أن يموت أيها الحمار الغبى !! ماذا تظن أنك تفعله باللّه عليك ؟ كادت تفجر أسلاك الهاتف بغضبها ..

يقول لها : يبدو أن الألعاب النارية هى التى أنقذته .. لكنه يسمع صوت (كليك) فى أذنه .. لقد انقطع الخط .. إن أخته عنيدة ، وحين لا ترغب فى سماع شىء فهى لا تسمعه ..

ثم فى أول هذا الشهر جاءت مكالمة من (مارتى) :

- « أريد أن أراك يا خالى .. أنت الوحيد الذى أستطيع الكلام معه .. »

- « يا بنى .. أنا فى أسوأ حالاتى مع أمك .. »

- « الأمر مهم .. أرجوك »

لذا جاء وتحمل بشجاعة صمت أخته البارد المحتج ، وفى صباح يوم من أيام ديسمبر أخذ (آل) (مارتى) فى رحلة فى سيارته الرياضية .. بعدما أحكم غلق حزام الأمان عليه ..

فى هذا اليوم لم تكن هناك سرعات مجنونة ولا ضحكات .. فقط راح الخال يصغى بينما (مارتى) يتكلم .. أصغى فى قلق بينما القصة تروى ..

حكى له (مارتى) عن ليلة الألعاب النارية .. وعن نسفه لعين الوحش .. وعن عثوره على الشخص ذى العين الواحدة .. وحكى له عن المذكرات التى راح يرسلها غفلاً من التوقيع إلى الأستاذ (جيمس لستر) .. بلا توقيع حتى توفى (ميلت ستورمفولر) .. بعدها راح يوقع الخطابات كما علموه فى المدرسة : المخلص (مارتى كولزو) ..

قال الخال بحدة :

ـ « (مارتى) .. ما كان يجب أن ترسل للرجل مذكرات بتوقيع أو بدون .. رباه ! أم يجل بخاطرك لحظة أنك قد تكون مخطئًا ؟ »

ـ « بالطبع خطر لى هذا .. لهذا وقعت باسمى .. ألن تسألنى عما حدث بعدها ؟ ألن تسألنى عما إذا كان الرجل قد اشتكانى لأبى ؟ »

تساءل (آل) وهو يعرف الإجابة بالفعل :

ـ « ألم يفعل هذا ؟ »

قال (مارتى) بهدوء :

ـ « نعم لم يفعل .. لم يتكلم مع أبى ولم يتكلم مع أمى .. ولم يتكلم معى .. »

ـ « (مارتى) .. من الممكن أن تجد مائة سبب لـ ... »

ـ « لا .. هناك سبب واحد فقط .. هذا الرجل هو المذءوب .. هو الوحش .. وهو ينتظر اكتمال القمر .. بصفته الأستاذ (لستر) ليس بوسعه عمل شىء .. لكنه كمذءوب يستطيع عمل الكثير .. يمكنه أن يخرسنى .. »

كان (مارتى) يتكلم ببساطة مخيفة إلى حد أن (آل) صدقه على الفور ..

سأله (آل) :

ـ ماذا تريد منى ؟

أخبره (مارتى) .. كان يريد رصاصتين فضيتين .. ومسدسًا يرميهما به .. وأراد من أبيه أن يزوره ليلة اكتمال القمر ..

قال الخال (آل) :

ـ « سأفعل هذا .. (مارتى) .. أنت ولد طيب لكنك بدأت تجن .. أعتقد أنك على وشك الإصابة بحمى الكرسى المتحرك .. لو فكرت فى الأمر لوجدته كذلك .. »

قال (مارتى) :

ـ « ربما .. لكن فكر كيف ستشعر لو اتصلت فى أول العام الجديد ليقولوا لك إننى مت فى فراشى .. وإن هناك من مزقنى إلى أشلاء .. هل تتحمل هذا فى ضميرك يا خالى ؟ »

كاد (آل) يتكلم ثم أغلق فاه ..

انطلق إلى الطريق الرئيسى سامعًا عجلات المرسيدس فوق الجليد ..

لقد حارب فى (فييتنام) ونال ميداليتين هناك .. لقد نجا من أصعب المواقف .. لكنه الآن يشعر بأنه متورط .. لقد اعتقله هذا الصبى .. ابن أخته المعوق ذو العشرة أعوام ..

طبعًا لم يكن يريد شيئًا كهذا فى ضميره ولا حتى احتمال .. و(مارتى) يعرف هذا ..

بعد أربعة أيام ـ أى العاشر من ديسمبر ـ اتصل الخال بالصبى ..

ـ « أنباء عظيمة !! »

كذا أعلن (مارتى) للأسرة .. وهو يقود كرسيه المتحرك إلى غرفة المعيشة :

ـ « الخال (آل) آت لقضاء ليلة رأس السنة معنا !! »

قالت أمه بأكثر طرق الكلام برودًا وجفاءً :

ـ « بالتأكيد لن يفعل هذا .. »

لم يثبط هذا من همة الصبى فقال :

ـ « آسف .. أنا قد دعوته حالاً .. قال إنه سيحضر بعض البارود الذى ينفجر فى الحفلات للمدفأة .. »

ظلت الأم ترمق (مارتى) فى اهتمام طيلة اليوم ، وكلما نظرت نحوه أو نظر نحوها .. ولم تتصل بأخيها تسأله ألا يأتى .. وكان هذا هو الجزء المهم فى الموضوع ..

على العشاء فى تلك الليلة همست (كاتى) بفحيح فى أذنه :

ـ « أنت تنال دومًا ما تريد .. فقط لأنك معوق !! »

مبتسمًا قال لها :

ـ « وأنا كذلك أحبك يا أختاه ! »

ـ « أيها التافه الصغير ! »

ونهضت مبتعدة ..

الآن جاء رأس السنة ..

وتوقعت الأم أن أخاها لن يأتى إذا تفاقمت العاصفة .. وكانت الريح تعوى وتقذف الثلوج فى كل صوب .. والحقيقة أن (مارتى) مر هو الآخر بلحظات صعبة ..

لكن الخال (آل) وصل فى الثامنة مساءً ولم تكن معه سيارته المرسيدس الرياضية ، ولكن اقترض سيارة ذات دفع رباعى ..

فى الحادية عشرة والنصف دخل الجميع إلى الفراش .. ما عدا اثنين .. وبرغم أن الخال (آل) ما زال يشك فى القصة ، إلا أنه أحضر ليس مسدسًا واحدًا بل اثنين أخفاهما تحت معطفه ..

المسدس الذى به الطلقتان الفضيتان يناوله بلاكلام لـ (مارتى) بعدما أخليت الأسرة للنوم .. وكأنما لتأكيد هذا أغلقت الأم باب غرفة النوم بعنف وهى تدخل ..

المسدس الآخر المحشو برصاص عادى مع الخال .. لكن (آل) يقدر أنه لو كان القاتل رجلاً مجنونًا ، وحاول الدخول هنا (وهو ما بدأ يشك فيه كلما مر الوقت دون أن يحدث شىء) .. فإن المسدس (الماجنام) عيار 0.45 سيعمل جيدًا ..

فى التلفزيون يصورون الكرة المضيئة فى ميدان (التايمز) .. إن آخر دقائق فى العام تنفد بسرعة .. الناس يهللون ..

وفى بيت آل (كوزلو) ما زالت شجرة (عيد الميلاد) واقفة .. صحيح أنها بدأت تجف وقد خلت من الهدايا المعلقة عليها ..

يبدأ الخال الكلام :

ـ « (مارتى) .. لا شىء .. »

هنا تتهشم النافذة الكبيرة فى غرفة المعيشة ، ويتناثر الزجاج ..

ومنها تدخل الريح السوداء من الخارج ، ومعها رقائق الجليد .. والوحش ..

يتجمد (آل) للحظة .. يجمده الرعب وعدم التصديق ..

إن الوحش عملاق .. ربما ارتفاعه سبعة أقدام .. برغم أنه منحن حتى إن مخالبه الأمامية توشك على أن تلمس البساط ..

عينه الوحيدة الخضراء (كما قال مارتى مرارًا .. بالضبط كما قال مارتى) تحدق فيهما بتركيز مخيف .. ثم تتصلب على (مارتى) .. الجالس فى مقعده المتحرك ..

يثب على الصبى وصرخة انتصار مروعة تنفجر من صدره ومن بين أسنانه المصفرة ..

بهدوء ودون أن يتغير تعبير وجهه ، يصوب (مارتى) مسدسه عيار 0.38 .. يبدو صغيرًا جدًّا فى كرسيه المتحرك .. قدماه عصوان فى سرواله الجينز الباهت .. خفاه الصوفيان فى قدمين لم تشعرا بشىء طيلة حياته ..

وفوق عواء المذءوب المجنون .. فوق صراخ الريح .. فوق أفكاره التى تتساءل كيف يكون هذا حقيقيًا فى عالم من البشر الحقيقيين .. وفوق كل هذا يسمع (آل) ابن أخيه بمعجزة ما يقول :

ـ « أيها المسكين (جيمس لستر) .. سأحاول أن أحررك .. »

وإذ يثب الوحش .. ومخالبه مشروعة .. يصوب (مارتى) مسدسه ..

يصدر المسدس صوت (بوب) سخيفًا .. وكأنه بندقية هوائية تافهة ..

لكن زئير المذءوب الغاضب يتصاعد إلى درجة أعلى .. صرخة ألم مجنونة الآن ..

يصطدم بالجدار ويحدث كتفه ثقبًا نافذًا إلى الجانب الآخر .. تسقط لوحة زيتية على رأسه ثم تنزلق على ظهره بينما هو يستدير ..

الدم يسيل من الوحش .. وعينه تبدو حائرة تائهة .. يترنح صوب (مارتى) وهو يعوى .. يداه المخلبيتان تفتحان وتغلقان .. ومن بين فكيه تخرج رغاو ملوثة بالدم ..

يمسك (مارتى) بالمسدس بين يديه كما يمسك طفل صغير كوب الشراب بيديه كى لا تسقط ..

ينتظر .. ينتظر ..

وإذ يثب المذءوب ثانية يطلق النار ..

كأنما بفعل السحر انفجرت عين المذءوب الباقية كأنها شمعة فى عاصفة !

يصرخ ثانية ويتعثر وقد صار كفيفًا تمامًا نحو النافذة .. تهز العواصف الثلجية الستائر وتلفها حول رأسه .. يستطيع (آل) أن يرى زهور الدم تتفتح على القماش الأبيض ..

يسقط المذعوب على ركبتيه ، إذ يهرع أبو (مارتى) إلى الغرفة ، وقد اتسعت عيناه ، وهو يرتدى منامته الصفراء اللامعة ..

ما زال مسدس الماجنام فى حجر (آل) .. فهو لم يستطع رفعه ..

الآن يتهاوى الوحش .. يهتز لحظة ..

ثم يموت ..

يرمقه مستر (كوزلو) بعينين متسعتين وفم فاغر ..

يستدير (مارتى) إلى خاله (آل) ووجهه مرهق لكنه ينعم بالسلام ، والمسدس ما زال يبعث الدخان ..

يقول :

ـ « عام جديد سعيد يا خالى .. لقد مات .. الوحش مات .. »

ثم انفجر فى البكاء ..

وعلى الأرض تحت أفضل ستائر السيدة (كوزلو) بدأ المذعوب يتغير ..

الشعر الذى كان يطل من وجهه مشعثًا بدأ يتلاشى بشكل ما .. تسترخى شفتاه اللتان تقلصتا فى تعبير عن الألم والتوحش ، من جديد تغطيان أسنانه ..

المخالب تذوب لتتحول إلى أظفار ..

يرقد هنا الأستاذ (لستر) ملفوفًا فى ستارة غارقة بالدم .. والجليد يتطاير من حوله فى أشكال عشوائية ..

يتقدم خال (مارتى) ليهدئ الصبى ، بينما يركع الأب على ركبته ليتفحص الجسد .. بينما أم (مارتى) تدخل الغرفة ..



وعلى الأرض تحت أفضل ستائر السيدة (كوزلو) بدأ المذءوب يتغير .

يحتضن الخال (مارتى) بقوة .. بقوة .. بقوة ..

ويهمس :

ـ « أحسنت يا بنى .. أنا أحبك .. »

وفى الخارج تعوى الريح وتصرخ فى وجه السماء المليئة بالثلوج ..

وفى (تاركرز ميلز) صارت أول دقيقة من العام الجديد ماضيًا ..(*)

ستيفن كينج

1983

(*) اعتذر (ستيفن كينج) لقرائه عن عدم توخيه الدقة فى الدورة القمرية ، وهو يعرفنا هذا قبل سواه ، لكنه كان بحاجة إلى استعمال مناسبات مثل يوم الاستقلال ورأس السنة .. الخ .. أى أنه تغاضى عن الدقة الفلكية من أجل الضرورة الفنية ..

مقدمة فى نهاية الكتاب

(نظرًا لقصر رواية اليوم ، بدا أنه من المناسب أن نورد هذا الجزء من المقدمة الطريفة التى كتبها كينج تقديمًا لمجموعته القصصية ، وردية الليل)

دعنا نتكلم أنا وأنت .. دعنا نتكلم عن الخوف ..

البيت خاو وأنا أكتب هذا ، ومطر فبراير يهطل بالخارج ..

إنه الليل .. دعنا نتكلم عن الخوف بأمانة .. نتكلم عن الاقتراب من حافة الجنون .. ولربما مابعدها ..

اسمى هو (ستيفن كينج) .. وأنا رجل بالغ لى زوجة وثلاثة أطفال ، وأنا أحبهم وأومن أن الشعور متبادل .. عملى هو الكتابة وهى مهنة أحبها جدًا .. إن قصصى (كارى) و(أرض سيلم) و(إشراق) قد نجحت جدًا إلى حد أنها أتاحت لى أن أتفرغ تمامًا للكتابة ..

فى هذه اللحظة من حياتى أشعر بأننى بكامل صحتى ، وقد خفضت من استهلاكى للتبغ .. كما

أعيش مع أسرتى قرب بحيرة غير ملوثة نسبيًا فى (مين) .. ذات مرة صحوت مبكرًا فرأيت غزالاً يقف فى الزقاق الخلفى للدار .. إن حياتنا جميلة ..

لكن ـ برغم هذا ـ دعنا نتكلم عن الخوف .. لن نصرخ بل سنتكلم بعقلانية .. فى الليل لابد أن أتأكد من أن ساقى تحت الغطاء عندما يسود الظلام .. لست طفلاً لكنى أكره أن أنام وإحدى ساقى عارية .. لأنه لو لمست يد باردة ساقى من تحت الفراش فلسوف أصرخ حتى أوقظ الموتى .. حسن .. هذا لا يحدث عادة ..

إن الشىء الذى ينتظر تحت فراشى ليس حقيقيًا .. أعرف هذا .. وأعرف أيضًا أننى لو أبقيت ساقى تحت الغطاء فلن يتمكن هذا الشىء من لمسها ..

دائمًا فى المحاضرات التى ألقيها ، ينهض أحد المستمعين ليسألنى : لماذا تكتب فى هذه المواضيع

الشنيعة ؟ ودائمًا ما أرد عليه بسؤال آخر : لماذا تفترض أن لى الخيار ؟

يبدو لى أن كلاً منا يحمل مرشحات ما فى عقله .. وهذه المرشحات لها مقاسات مختلفة .. ما تصفيه مرشحاتى قد يمر بسهولة عبر مرشحاتك .. والعكس صحيح .. والبقايا التى تتخلف فى الذهن هى التى تتحول إلى وسواس كل منا .. وفى المجتمعات المتحضرة يكون علينا أن نطلق على وساوسنا اسم (هوايات) ..

أحيانًا تتحول الهواية إلى مهنة بدوام كامل .. قد يكتشف المحاسب أنه يمكن أن يعول أسرته بالتقاط الصور .. لكننا نكره استعمال كلمة بسيطة هينة مثل (هوايات) لذا نطلق على هواياتنا اسم (الفنون) .. ونحن متفقون على أن من يمارس هذه الفنون إنما يمارسها حتى لو لم يجن مالاً .. حتى لو مزقه النقاد .. وحتى لو تعرض للألم وربما الموت ..

أنا أجد هذا نموذجًا للوسواس القهرى .. فالبقايا التى تظل فى مرشحى الخاص هى كل ما يتعلق بالخوف ، وهى بقايا ترفض أن تنزل فى البالوعة إلى اللاوعى .. ووسواسى القهرى هو الفزع والرهبة ..

أنا لم أكتب أيًا من قصصى من أجل المال .. لقد كسبت كثيرًا من قصصى ، ولم أكف عن المطالبة بكل مليم من أجرى ، لأننى أعانى الوسواس القهرى لكنى لست مجنونًا .. إلا أننى أكرر : لم تكتب قصة واحدة بغرض الكسب كهدف أول .. لقد كتبت القصص لأننى أردت أن أكتبها .. وأنا فى هذا محظوظ .. لأن وسواسى القهرى من نوع قابل للبيع ، بينما هناك رجال ونساء يملئون المصحات العقلية ليسوا بهذا الحظ الحسن .

إن الفن نوع من الجنون الخطر .. نوع من المرض الحميد الذى قد يصير خبيثًا .. والمهم هو أن تكون حذرًا وأنت تمسك بالسكين كى لا تجرحك ..

بعد هذا يأتى السؤال التالى من مستمعى :

لماذا يقرأ الناس هذه الأشياء ؟ لماذا هى رائجة ؟

وهذا السؤال يحمل فى طياته فرضية تقول إن القصة المخيفة هى ذوق غير صحى .. والناس الذين يكتبون لى يكتبون أشياء مثل : « ربما تعتقد أننى شخصية مريضة لكننى بالفعل أحببت (أرض سليم) .. أو ربما تعتبرنى غير طبيعى لكنى شغفت بـ (إشراق) .. »

أعتقد أن الرد يكمن فى عبارة نقدية قرأتها فى إحدى الصحف عن فيلم رعب ردئ : « فيلم مناسب للذين يحبون أن يبطئوا سياراتهم ليشاهدوا بوضوح حادث تصادم »

هذا سطر صغير لكنه بالفعل ينطبق على كل أدب وأفلام الرعب .. فيلم (ليلة الموتى الأحياء) بكل ما فيه من أكل لحم بشر وجثث مشوهة ، قد صنع بالتأكيد لهؤلاء الذين يحبون أن يبطئوا سياراتهم ليشاهدوا بوضوح حادث تصادم .. وماذا عن الفتاة التى تقىء مزيجًا أخضر على الناس فى قصة (طارد الأرواح الشريرة) ؟ ماذا عن (دراكيولا) قصة (برام ستوكر) بما فيها من غرس أوتاد فى الصدور والتهام أطفال رضع ؟ أليس هذا كله نوعًا من - « دعنا نبطئ العربة لنرى بوضوح حادث التصادم هذا ؟ »

وحتى الكتاب الذين يقدمون لنا التلميح بالرعب لا الرعب نفسه مثل (ناتانييل هوثورن) ، هم أيضًا يروننا حادث السيارة لكن بعد ما جاءت الإسعاف ونقلت الجثث .. لكن أثر الحادث واضح .. بقع الدم ما زالت موجودة على فرش السيارة ..

المسنون يدعون تصفح الجرائد من صفحة الوفيات ، بحثًا عن أسماء من عاشوا هم بعدهم .. لا تنكر اهتمامك بالنشرة الأخبارية التى تحكى عن امرأة ابتلعها محرك الطائرة .. إن الرعب يثير اهتمامنا لكنه يثير نفورنا بالقدر ذاته ..

هناك قصة قديمة عن سبعة عميان أمسكوا بسبعة أجزاء من فيل .. أحدهم حسب أن الفيل أفعى وأحدهم حسب أن الفيل ورقة شجر عملاقة ، وأحدهم حسب الفيل عمودًا من الصخر .. حين اجتمعوا جميعًا عرفوا كيف يبدو الفيل ..

إن الخوف يجعلنا نصاب بالعمى .. كم من شىء نخشاه ؟ نحن نخشى إطفاء النور بأيد مبتلة .. نخشى ما سيقول الطبيب بعد انتهاء الفحص .. نخشى حين تنحدر الطائرة فجأة فى الهواء .. نخشى أن ينفد البترول .. أن ينفد الهواء ..

حين تعدك ابنتك أنها ستعود للدار في العاشرة ، والساعة الآن الثانية عشرة والربع وحبات البرد تضرب زجاج النافذة كأنها الرمل .. تجلس وتتظاهر بأنك تشاهد المسلسل في التلفزيون ، وتنظر إلى الهاتف شاعرًا بأن عواطفك تجعلك مكفوفًا .. العواطف التي تدمر قدرتنا على التفكير ..

الأطفال يتعلمون الخوف بسرعة بعد أول مرة لاتكون الأم موجودة فيها لتلقمهم ثديها .. يتعلمون الخوف سريعًا من الأدب الذى يدخل الحمام ليجد الطفل ممسكًا بعلبة أقراص فارغة ..

فى كل تجربة لنا نتعلم عن الخوف وجهًا واحدًا .. ونحاول أن نجمع الصورة فى النهاية كما فعل العميان بأجزاء الفيل .. والصورة النهائية للخوف تتضح لنا فيما بعد .. إنها جسد مسجى تحت الملاءة .. إنه جسدنا .. كل مخاوفنا تنصب فى النهاية على هذا الجسد تحت الملاءة ..

إن أدب الرعب عبر التاريخ ليس سوى تسميع لبروفة موتنا .. وقد مات (بو) العظيم و(لافكرافت) - وكلاهما أمريكى - مفلسين .. والسبب هو أن الأمريكيين كانوا مشغولين ببناء بلادهم ولا وقت لديهم لبروفات الموت .. إن كاتب الرعب يجلب لك دائمًا أخبارًا سيئة : أنت ستموت ..

إنه يطمئنك أنه لا أمل لك .. يقتادك إلى الغرفة المظلمة ويمسك بيدك ويضعها تحت الملاءة لتتحسس بنفسك الجسد المسجى هناك ..

وكل كاتب رعب يجيد عمله يعرف جيدًا أن كتاباته هى نفق سفلى ما بين الوعى واللاوعى .. بين ما يمكننا أن نتذكره وما نريد أن ننساه ..

حين تقرأ الرعب فأنت لا تصدق حرفًا .. لا تصدق بوجود مصاصى الدماء ولا المذءوبين .. أنت تصدق الرعب الذى تقرؤه لدى (دستويفسكى) و(ألبى) : الشيخوخة .. الكراهية .. الاغتراب .. لكن هؤلاء الكتاب

يتكلمون عن الرعب الذى (يمكن أن يحدث) ، أى هم يتكلمون عن رعب العالم الحقيقى .. بينما كتاب آخرون مثل (جيمس جويس) يتكلمون فقط عن رعب اللاوعى .. كاتب الرعب الناجح يلعب بالضبط فى الخط الفاصل بين الوعى واللاوعى .. وهو يحمل سلة مفعمة بالمخاوف وأنت تأخذ فى كل مرة شيئًا من سلته ، وتضع بدلاً منه رعبًا خاصًا بك أنت ..

حين بدأت ثورة الشباب فى الخمسينات ، انتشرت أفلام رعب المراهقين .. وكنت تدخل الفيلم لترى بطل الفيلم المراهق يتحول إلى مذءوب ، فتدرك أنك كنت على حق حين قلقت بصدد الولد (الصايع) ذى السترة الجلدية والسلسلة الذى تميل له ابنتك .. أما المراهقون أنفسهم فكانت الأفلام ترضيهم ، لأنها تريهم مراهقين أسوأ وأخطر مما يظنون فى أنفسهم .. ما خطر بعض حب الشباب على الوجه أمام مراهق الفيلم الذى يتحول إلى مذءوب ؟

هذه أمور لم يتعمدها صناع الفيلم .. لكن الرعب كما قلنا يعمل بالضبط فى المنطقة الفاصلة بين الوعى والاوعى وهناك يضرب .. يكلمك عن الصوت الذى يتحرك خلف الجدران .. عن المرأة الجالسة فى غرفة تقرأ جريدة مصفرة .. عن الشىء تحت الملاءة ..

لكن هناك شيئًا أهم من كل هذا لكاتب الرعب الجيد .. عليه أن يعلى قيمة القصة على أى شىء آخر .. على رسم الشخصيات والتقنية والأسلوب وكل شىء .. أذكر هنا عبارة وردت فى قصة لـ (إدجار رايس بوروز) وهو ليس بالكاتب العظيم .. وردت العبارة فى قصة (الأرض التى غفل عنها الزمن) .. لقد وجد بطل القصة رسالة داخل زجاجة .. هذه الرسالة ستكون هى الرواية ذاتها فيما بعد .. وتقول فى آخر سطر منها : فقط اقرأ صفحة واحدة ولسوف تنسانى تمامًا ..

هذه العبارة تعنى كل شىء .. وللأسف لم يفهمها كتاب هم أعظم وأعمق من (رايس) بمراحل ..

يجب على الحدث أن يغطى على الكاتب .. يجب أن ينسى القارئ الكاتب تمامًا بعد أول صفحة ..

أعرف أن أكثر القراء لا يطيقون مقدمات الكاتب .. إنهم جاءوا ليروا العرض لا ليقابلوا المخرج واقفًا على خشبة المسرح يتكلم عن نفسه .. لهذا أيها القارئ العزيز أنا ذاهب الآن .. سيبدأ العرض ..

سندخل الغرفة لنتحسس الجسد المسجى تحت الملاءة ..



* * *

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب



دورة المذءوب

43

شىء غير آدمى قد جاء إلى (تاركرز ميلز) لا يراه أحد ، مثله مثل القمر الساطع فوق الغيوم من أعلى ..

إنه المذءوب .. ولا يوجد تفسير واحد لوصوله الآن أكثر من أسباب حدوث السرطان أو قدوم مجنون. تكمن فكرة القتل فى ذهنه .. أو إعصار قاتل ..

مكانه هنا .. وقته الآن .. فى هذه البلدة الصغيرة فى ولاية (مين) التى مازال الناس يؤمون الكنيسة فيها ، وما زال الأطفال فى المدارس يحضرون تفاحًا لمعلماتهم ، ومازالت الجريدة الأسبوعية تهتم باجتماعات المسنين . الأسبوع التالى ستكون هناك أخبار من نوع أكثر قتامة ..

لقد بدأت دورة المذءوب ....

الثمن فى مصر ٢٠٠ ـــص
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
حكايات أوسكار وايلد

